وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

صورة المكان في رواية "السيرة الطائرة"
لإبراهيم نصر الله

مذكرة مكملة لنيل متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- سلمى رزاي
- عائشة بعيو

إشراف الدكتورة:

جميلة بورحلة

لجنة المناقشة

1– الدكتور: محمد زكور	– جامعة جيجل–	رئيسا
2– الدكتورة:جميلة بورحلة	– جامعة جيجل–	مشرفا
3–الدكتورة: عائشة بومهراز	– جامعة جيجل–	مناقشا

السنة الجامعية 2021/2020

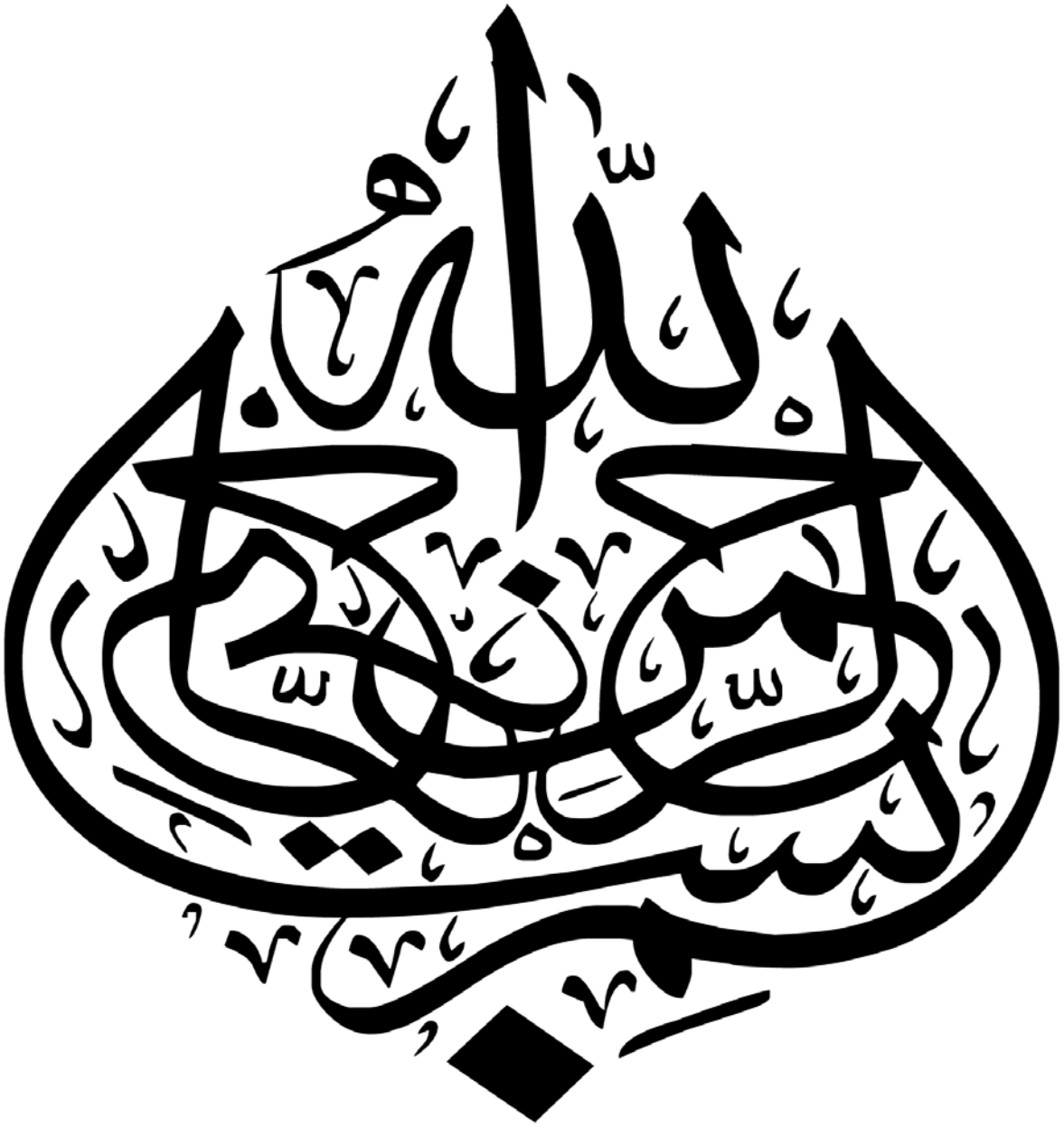

دعاء

قال تعالى: "الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)" "سورة الرحمن"

يا رب لا تدعنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا فشلنا، بل ذكرنا دائما بأنّ الفشل هو التجربة التي تسبق النجاح.

يا رب ساعدنا على أن نقول كلمة حق في وجه الأعداء ولا نقول كلمة النجاح الباطل لكسب الأقوياء

يا رب إذا أعطيتنا نجاحا لا تفقدنا تواضعنا وإذا أعطيتنا تواضعا لا تفقدنا اعتزازنا بكرامتنا

اللهم إنّ كنا نريد الحياة الطيبة والسعادة الدائمة فلنعمل لإصلاح الناشئين بالتربية المثقفة والمهذبة ولنجهد أنفسنا في طريق استكمال الأخلاق الفاضلة **ونسأل الله أن يصلح ما بيننا من فساد وأن يوفقنا جميعا إلى ما به نجاحا وسعادتنا.**

واجعلنا من اللذين إذا عملوا شكروا وإذا أذنبوا استغفروا

وإذا أو ذوا فيك صبروا

وإذا تقلبت بهم الأيام اعتبروا

" أ"

شكر وعرفان

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

لك الحمد على نعمة العقل ونور الفهم ومنح الصبر والإرادة على إتمام هذا العمل.

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا

إلى أبائنا وأمهاتنا الذين كانوا شمعة أمل أنارت دروبنا وخطانا ومهدت طريق نجاحنا

نتوجه **بخالص المحبة والعرفان** إلى أستاذتنا الفاضلة **"جميلة بورحلة"** لقبولها الإشراف على مذكرتنا.

وعلى **مجهوذاتها المبذولة** وعلى ما قدمته لنا من توجيهات ونصائح قيمة فلها أسمى معاني الشكر والتقدير **وجزاها الله خير جزاء وأبقاها منبع نور للعلم** ولطلابها

كما نتوجه بخالص شكرنا وامتنانا للأستاذة **"لكحل فاطمة"** على نصائحها القيمة وتوجيهاتها السديدة.

كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى **أعضاء لجنة المناقشة** الذين يتكرمون بقراءة هذا البحث، وبتقديم ملاحظاتهم لتقويمه وتصويبه وإثرائه.

ونتوجه كذلك بالشكر إلى كل من ساعدنا ولو **بكلمة طيبة** أو دعاء خالص.

كما لا ننسى **أساتذة قسم الآداب بصفة عامة** وإلى **عمال المكتبة** وكل الذين **درسونا بصفة خاصة من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية.**

"وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين" **عائشة وسلمى**

إهداء

بكل ما يحمل القلب من معان ويعجز اللسان عن نطقها والقلم عن كتابتها

اهدي هذا العمل إلى الذي علمني كيف اشق طريق الحياة وأصبو إلى أسمى الغايات

إلى من تجرع الكأس الفارغ ليسقيني قطرة حب

إلى من كلت أنامله ليقوم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد **الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم** **أبي الغالي سليم**

إلى من يشتهي اللسان نطق اسمها وترف العين وحشتها

إلى من يحن القلب إلى تقبيلها وتشتاق الأذن لسماع دعوتها

والتي **حملتني وهنا على وهن** وسقتني من ينبع حنانها **أمي الغالية رحيمة**

إلى من **يضيؤون** لي طريقي **ويساندونني ويتنازلون** عن **حقوقهم لإرضائي إلى إخوتي**

محمد(سامي) احمد جمال الدين عماد وأخي حسين بسمة الدار وصغيرها

إلى من أرى **التفاؤل والسعادة** في أعينها **فسعادتي هي سعادتها** **أختي أمال** إلى

الكتكوت الصغير ابن **آخي يوسف ايمن**

الى زوجة اخي

إلى من **تقاسمت معها** هذا العمل وأيضا **الأيام والسنوات**

صديقتي عائشة

إلى **صديقات العمر ورفيقات الدرب** **ابتسام سمية**

إلى **كل الزهرات التي عشت في وسطها صديقاتي** **نسيمة سامية وسام رقية فتيحة أميرة يسرى دنيا صونية**

كريمة نور الهدى أحلام آمال مربوحة مريم نعيمة سعيدة رفيدة نور الهدى مونيا

إلى **جميع الأحباب** **ليلى زهية رحيمة اسماء ليندة**

إلى كل من **ارتقت** مكانتهم **في قلبي** ولم يستطع كتابتهم قلمي **دون استثناء**

اهدي ثمرة جهدي

وشكرا

سلمى

إهداء

تمر الأيام والسنين وتنتهي ساعات الحنين لنعود إلى الديار بعد طول انتظار

إهدائي إلى.....

إلى الذي أفني عمره وشبابه لأجلنا إلى من **افخر بحملي اسمه** إلى من سهر وحرم عينه لذيذ المنام ليرانا في أفضل حال

إلى الذي يساندني في كل خطوة أخطوها في سبيل العلم

إلى **أبي أحمد حفظه الله وأدامه لنا**

إلى أغلى ما املك في الدنيا إلى التي حملتني وهنا ووضعتني وهنا وأرضعتني عذب الحنان وصفاء الحب وخالص العطاء إلى من كانت شمعة تنير دربي وضحت بالكثير والكثير .... من اجل أن ترانا كما تمنت....

إلى من كانت تسقيني دعاء حتى وصلت إلى أسمى المراتب

إليك أمي فهيمة

إلى من شاركوني حلو هذا الزمان ومره فجمعنا بيت واحد جدرانه التعاون والوفاء وسقفه المحبة الأبدية

إلى **سندي ومصدر قوتي في الحياة**

أخواتي ليلى نوال أسماء

و إلى **أختي أجمل شخص في الحياة**

وروحي الثانية ليلى

إلى روح **جدي العزيز** طيب الله ثراه وتغمده بواسع رحمته واسكنه فسيح جناته **ورجائي من يقرأ هذا العمل أن يترحم عليه**

إلى **جدتي ذهبية أطال الله في عمرها وغمرها برضاها.**

إلى **عماتي مسعودة مريم نوارة**

و إلى بنات **عماتي زهية ورحيمة عشت أجمل أيامي طيلة** خمس سنوات معهم **خاصة يوم الثلاثاء** في جيجل

إلى **وحيدة رفيقة رحيمة**

إلى **خالاتي زهرة حياتي سميرة وردة حنان وداد عايدة**

إلى إخوالي محمد حسان قدور الزاهي بلال مراد

إلى كل **عائلة بومزبر فردا فردا**

عائشة

إهداء

إلى **أجمل باقة من اغلي الورود** **سيرين أحلام آية سجود أيمن محمد رضا أمير أريج لجين قطر الندى**

أسيل تسنيم هيثم سندس آدم رحاب رؤيا سدرا

إلى **كتكوتة العائلة** ابنة أختي **أروى**

إلى **جاراتي ونصف حياتي** **مسيكة نجاة رميسة نوال طومة حليمة مريم ملاك غادة إيمان**

إلى كل **صديقات الطفولة وزملاء الدراسة الذين جمعتني بهم أحلى الأيام** **سمية ليندة ابتسام كريمة فاطمة الزهراء فضيلة نسيمة عايدة أميرة أمال دنيا فتحية نور الهدى صونية كريمة سعيدة نعيمة رقية رفيدة ..**

إلى **أغلي وأغلي صديقة تعرفت عليها في المرحلة** الثانوية إلى يومنا هذا شاركتني أفراحي وأحزاني سواء في الجامعة أو في غرفة الإقامة **لخمس سنوات** عشنا تحت سقف واحد مليء **بصدق الإخوة وطيب النوايا**

كما **شاركتني في انجاز هذا العمل وفي مشواري الدراسي**

سلمى

إلى جميع الذين حملوا شعلة العلم وكل **من يحمل لقب بعيو**

إلى كل من مد لي يد المساعدة حتى لو بكلمة

اهدي هذا العمل المتواضع

والى كل من **ذكرهم قلبي ونسيهم قلمي**

عائشة

مقدمة

مقدمة :

يعدّ عنصر المكان من الركائز الأساسية التي تقوم عليها الرواية، فهو يساهم في تشكيل عالم الرواية يساهم في الفاظ على ربط مكوناتها، ويؤثر على سيرورة الحكي حيث يشكل نقطة التقاء عناصر البيئة فهو ليس مجرد خلفية تتحرك عليها الأحداث في الرواية بل إنّه عنصر فاعل وفعال في تكوين عناصرها المختلفة، حيث يسهم في تفعيل دلالة أي عمل روائي ويرسم البيئة الاجتماعية التي تعبر عن موقف شخصياتها من العالم حولها، كما أصبح من التقنيات التي استحوذت عليها الكتابة الروائية ممّا جعله يحضى باهتمام الباحثين ليصير محل اشتغال الدراسات والأبحاث المعاصرة، إذ لا يمكننا تصور أحداث وشخصيات تعيش خارج الرواية.

وانطلاقا من هذا فالمكان له أهمية كبيرة في بناء العمل الروائي، وبهذا يكون قد تحول من مجرد عنصر من عناصر العمل الفنّي إلى غاية من غايات وجود العمل الفنّي.

وللمكان أيضا دور في إضفاء الصفات الفنّية والجمالية على النّص الروائي باعتباره أساس الرواية لدرجة يصعب فيها حضور باقي العناصر المشكلة للعمل الروائي بدونه، إذ لكل بيئة خصائصها الطبيعية والمناخية والجيولوجية كما لها ذاتيتها التاريخية، وتحتاج إلى نقطة انطلاق وإندماج في المكان الذي تنظم من خلاله الأحداث وحركة الشخصيات وحتى الزمان إذ لا يمكن تصور هذه العناصر في "اللامكان" لأنّه ببساطة لا وجود للحياة دون مكان ولا وجود لعمل روائي حيث يفتقد المكانية فهو بذلك يفقد خصوصيته وأصالته.

وقدتولدت لدينا الرغبة في دراسة هذا العنصر الجمالي قصد استكشاف أبعاده الفنّية وتأثيراته الجمالية على عناصر الرواية، ومن بين الروائيين نجد "**إبرهيم نصر الله**" من الروائيين الفلسطينيين الذين اهتموا بالمكان صياغة

ودلالة، فكان هذا موضوع بحثنا، **صورة المكان في رواية السيرة الطائرة لإبراهيم نصر الله** وذلك من أجل الوقوف على صورة وجماليات المكان في العمل الروائي.

مرد اختيارنا لرواية "**السيرة الطائرة**" جملة أسباب ذاتية وموضوعية:

-ميلنا إلى الرواية بصفة عامة والرواية الفلسفية على وجه الخصوص.

- عنوانها المغري الذي يلقي بظلاله على أحداثها من أجل الاكتشاف والتحري.

- الكشف عن تقنية المكان داخل العمل الإبداعي.

- اشتغالنا بالقضة الفلسطينية فهذه الرواية جاءت معبرة عن الواقع الفلسطيني بشكل جلي.

- أنّ النموذج المختار يسمح لنا بالتعرف على سيرة الروائي وتنقله من مكان إلى مكان آخر.

من خلال هذا سنعمد إلى معالجة جملة من الإشكاليات تتقدمها الإشكالية الرئيسية:

-كيف صور **الكاتب "إبراهيم نصر الله"** الأمكنة التي زارها في رحلاته المختلفة؟

و للإجابة عن هذه الإشكالية الأساسية، وجب طرح جملة من الأسئلة الفرعية أهمها:

-ما المقصود بمصطلح المكان؟.

- ما علاقته بالقضاء؟.

- ما أهمية المكان من بين مكونات البنية السردية؟.

– ما هي أهم التقنيات التي اعتمدها الروائي "**إبراهيم نصر الله**" في رسم معالم عنصر المكان؟.

– إلى أي مدى وقف الكاتب في توظيف هذه التقنيات بطريقة إبداعية؟ وما هي الدلالات التي حملتها الأمكنة الروائية في سيرته؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة قسمنا بحثنا إلى: مقدمة،مدخل، فصلين، وخاتمة.كانت جامعة لاهم النتائج اما المقدمة *:فكانت افتتاحية*

المدخل: خصصناه للحديث عن البداية الأولى للرواية الفلسطينية واتفاقية أوسلو وأثرها في الرواية الفلسطينية.

تطرقنا في **الفصل الأول** النظري الموسوم "بحث في المفاهيم الأساسية" إلى ثلاث مباحث تناولنا فيه: ماهية المكان وأهميته في العمل الروائي، وأنواع المكان ووظيفته، ومفهوم الفضاء وعلاقته بالمكان.

أمّا **الفصل الثاني**: فخصصناه للدراسة التطبيقية والذي جاء تحت عنوان "**صورة المكان في رواية السيرة الطائرة**" ويندرج تحت هذا العنوان مبحثان قدمنا فيه تعريفا بالروائي والرواية كما درسنا صورة الأماكن العربية والغربية في الرواية.

ثمّ ختمنا البحث بخاتمة جامعة لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

أمّا فيما يتعلق بالمنهج إعتمدما **المنهج الوصفي** لدراسة جمالية المكان في الرواية ووصف بعض الفضاءات الموجودة فيها.

ولإثراء بحثنا اعتمدنا على مجموعة مراجع ساعدتنا على الإحاطة بالموضوع والتوغل فيه أهمها:

-بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي لحميد لحميداني.

- بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي.

- الرواية والمكان ياسين النصير.

- جماليات المكان لغاستون باشلار.

ويمكن أن نلخص الصعوبات التي واجهتنا في إعداد هذا البحث في ما يلي:

-انعدام الدراسات المتخصصة حول الرواية المدروسة.

- تشعب موضوع المكان وصعوبة الإلمام به من كل الجوانب.

- حداثة هذه الدراسة خاصة فيما يتعلق بتقصّي دلالات المكان في السيرة الطائرة.

- حجم الرواية الكبير حيث يبلغ عدد صفحاتها297صفحة، الأمر الذي صعب عملية البحث أثناء التطبيق خصوصا تحقيق الرؤية الشاملة في الرواية.

- مضمون الرواية المعقد وتعدد الأمكنة وكثرتها من خلال تنقل الروائي من مكان إلى مكان آخر والرجوع إليه من حين إلى آخر، خلق صعوبة في ضبط منهجية محددة في التحليل.

- ومن الصعوبات أيضا الظروف التي عاشتها الجامعات الجزائرية عامة والمكتبات خاصة بسبب الدراسة الاستثنائية بنظام الدفعات جراء **وباء كورونا**.

إلاّ أنّنا تجاوزناها وحاولنا تخطيها حتى نتمكن من تقديم بحث يتناسب ومستوانا التعليمي وكذا يتناسب مع موضوعنا المدروس والإفادة والاستفادة ولو بالقدر القليل منه.

وإذا كان هذا البحث قد احتوى بعض الأخطاء فإنّه يشفع لنا صدقنا في العمل ورغبتنا العميقة في تقديم شيء يخدم مجال البحث العلمي وهذا ما جسده قول الشاعر:

إن تجد عيبا فسدّ الخللا جلّ من لا عيب فيه وعل

وفي الأخير نتقدم بالشكر للأستاذة الفاضلة "**جميلة بورحلة**" على صبرها الجميل واهتمامها الكبير بالبحث عبر مساره، فلها الفضل في توجيهاتها والحرص على اخراجه في احسن صورة.

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين.

مدخل:الرواية الفلسطينية

أولا– البداية الأولى للرواية الفلسطينية.

1– قبل النكبة (1948).

2– بعد النكبة.

ثانيا– اتفاقية أوسلو وأثرها في الرواية الفلسطينية .

مدخل:الرواية الفلسطينية:

الأدب الفلسطيني من أكثر الآداب التصاقا بشخصية شعبه، في التعبير عن همومه تعبيرا حيا، وعن العطاء الذي قدمه الفلسطينيون لوطنهم وقدرتهم على الصمود والمقاومة والبذل والتضحية، وأصبحت أركان هذا الأدب من شعر ورواية وقصة قصيرة ومقالة، ونقد وبحث ودراسة، في مستوى لايقل عما بلغته الآداب العربية المتقدمة ولهذا كان الأدب الفلسطيني أدبا واسع الآفاق متنوع التيارات، وكانت الرواية الفلسطينية نموذجا عربيا استطاع الأدباء أن يتخدوه وسيلة للتعبير عن آلامهم وآمالهم وقهرهم ومشاكلهم من أجل إيصال قضيتهم للعالم وما يعانيه شعبهم من سلب واغتصاب لوطنهم من قبل الصهاينة.

بما أننا بصدد الحديث عن الرواية الفلسطينية فلا بد لنا من التطرق إلى مراحل تطورها:

أولا– البداية الأولى للرواية الفلسطينية.

1– قبل النكبة (1948م).

كانت فلسطين قبل نكبة عام 1948 من البلدان العربية التي حقق أبناؤها نهضة ثقافية جرى فيها تجديد روح الشعر وأساليبه، وكتابة الرواية والقصة القصيرة والمسرح.

لكن ما حدث عام النكبة طمس هذه التحولات والتطورات الثقافية البارزة، وما جرى إنقاذه من الكتب المطبوعة والمخطوطات التي أنجزت قبل النكبة يعد قليلا للغاية بالمقارنة مع ما كتب في الحقيقة وهو ما يجعل مهمة مؤرخي الأدب شديدة الصعوبة ويدفعهم إلى عادة تركيب المشهد الثقافي، والسعي للعثور على الإرث الأدبي والثقافي للفلسطينين وخصوصا في ظل توزعهم على المنافي والشتات الذي دفعهم إلى السكنى في جغرافيات متباعدة وتعرض منجزهم الثقافي للتقطع وعدم الاستمرارية ،وعلى الرغم من ذلك فالبداية الحقيقية للرواية الفلسطينية

تهدف إلى الترفيه والتسلية عن طريق "**الترجمة والصحافة**" وذلك من أجل نقل الأعمال الغربية إلى اللغة العربية وخاصة الروسية، لتكون بذلك فتحت المجال لدخول الرواية إلى الأدب الفسطيني.

وانطلاقا من هذا نطرح التساؤلات التالية:

كيف ساهمت الترجمة في تشكل الرواية الفلسطينية؟ وهل كانت هناك محاولات من قبل الكتاب الفلسطينين لتأليف الرواية؟

بالنظر إلى الثقافة الفلسطينية نجد أنها كانت متأثرة بالمدارس التبشيرية الروسية: "حيث ساهمت في إرسال البعثات التعليمية لعدد من الدارسين إلى روسيا لمتابعة دراستهم العليا فيها، وهكذا نشأت طائفة من أبناء فلسطين تحسن اللغة الروسية وتتصل بالثقافة والأدب الروسين، وتتابع نتاج اللغة القصصي الروسي"[1].

ونتيجة لذلك نقلوا فن الرواية في فلسطين عن طريق الترجمة، ومن الرواد الذين ساهموا في ترجمة الأعمال الأدبية الروسية نجد:

"**خليل بيدس**": "أصدر خليل بيدس أول رواية فلسطينية موضوعة ونشرها عام 1920م، وهي روايته الوحيدة الموضوعة في تلك الجهود التي بذلها في سبيل إدخال ونشر وتعميم هذا الفن الأدبي الجديد في فلسطين، سواء عن طريق الترجمة، أو إصدار مجلة مختصة معينة بنشر النصوص القصصية والروائية المترجمة والموضوعة، فمنذ سنة 1898م شرع "خليل بيدس" في نشر مترجماته الروائية عن الأدب الروسي، وفي ذلك العام نشر ثلاث روايات هي: "**بنة القبطان**" لبوشكين، و "**القوزاقي الولهان**"، و "**الطيب الحاذق**"[2].

كانت هذه الأعمال بمثابة جوهرة الأدب الفلسطيني.

---

[1] – فاروق وادي: ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية غسان كنفاني، إميل حبيبي، جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1981م، ص ص 16،17.

[2] – المرجع نفسه، ص 17.

-"أحمد شاكر الكرمي قام بترجمة روايات إنكليزية وتركية ومن بينها رواية **"الفلسفة الشرقية"** أو **"نادي سوارت"** لـ **"برناردين دوسان بيير"** سنة1921م.

وبهذا ساهمت أعماله في إثراء الساحة الأدبية الفلسطينية.

-"رشيد الدجاني": ترجم رواية بعنوان "**ابنة الكاهن**" أو "**يقظة الحبيبيين**".

-"أنطوان بلان": ترجم رواية روسية عنوانها "**سبيل الحب**"[1].

ويتضح لنا أن للترجمة دورا كبيرا في نقل فن الرواية إلى فلسطين، وذلك من خلال محاولة بعض الكتاب **ترجمة هذا الفن والاهتمام به** نتيجة الظروف السياسية والإجتماعية المتدنية، نجم عنها تأخر في شتى المجالات.

إضافة إلى الترجمة نجد هناك جهودا أخرى قام بها الكتاب الفلسطينيون لتأليف الرواية منها:

-رواية "**ظلم الوالدين**" لـ"**يوحنا دكرت**": عالجت قضايا إجتماعية أخلاقية غرامية، ورواية أخرى لم يتيسر لها النشر وهي بعنوان "**أصل الشقاء**"، إذ أثارت ضجة في الأوساط الدينية لأنها ردت أسباب الشقاء إلى رجال الدين ومنها أيضا رواية "**الضحية أو ابتسامة الهوى وضحية الحمام**" لكاتب رمز لاسمه بالحرف (ي)"[2].

كما نجد رواية "**الحياة بعد الموت** "**اسكندر الخوري البتجالي**". **و أيضا سماسرة الأرض**" لـ "**محمد غرة دروزة**" فهي تدور حول خبث الصهاينة ومكرهم للفلسطينين.[3]

نستنتج من خلال كل ما سبق أن لترجمة والأعمال الكتابية الأدبية الفضل الكبير في بروز فن الرواية في الأدب الفلسطيني ،إذا كان الاهتمام منصبا في قضية الوطن والتفكير في مصير الشعب الفلسطيني.

---

[1] - فاروق وادي:ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية،ص17.

[2]- المرجع نفسه، ص 23.

[3] - المرجع نفسه، ص 24.

2- بعد النكبة:

تسعى الرواية الفلسطينية والرواية العربية التي تدور حول القضية الفلسطينية إلى استعادة فلسطين التي كانت وجرى تدميرها ومحوها عام **1948**م، وإعادة بناء الشخصية الفلسطينية وتطويرها: "**وعليه أصبحت الرواية تعبر عن الواقع الفلسطيني بكل ما فيه، من خلال شخصيات تمثل شرائح المجتمع، لها ما لها من آمال وأحلام وطموحات**"[1].

نجد هنا أن أدب 1948م قد احتل مكانة خاصة ومرموقة، باعتباره أدبا فلسطينيا ظهر نتيجة المعاناة التي يعيشونها وسط الصهاينة، فرغم محاولة عزلهم عن محيطهم الثقافي إلا أنهم استطاعوا أن يطوروا الرواية الفلسطينية شكلا ومضمونا.

اتسمت السنوات الأولى بعد النكبة (من 48 إلى 53) بالتراجع والتوقف التام في مجال الأدب وذلك بسبب مخلفات النكبة التي ألمت بالفلسطينين، وقد أثرت عليهم في شتى المجالات الاجتماعية والسياسية وحتى الثقافية، وهذا ما أدى بهجرة الأدباء إلى مواطن مختلفة، باحثين فيها عن الأمن والإستقرار وظروف ملائمة للعيش بسلام، إلا أن الحنين والشوق للوطن الأم يزداد يوما بعد يوم في نفوسهم ما دفع بهم إلى كتابة روايات تعبر عن الواقع في فلسطين، ومن بينها نجد هنا رواية "**الرأس**" لـ "**جمال يونس**" ورواية أخرى للكتابة "**حزامة حبايب**" بعنوان "**قبل أن تنام الملكة**" صورت حقيقة ذلك المجتمع الفلسطيني في الخارج بأنه مجتمع سلمي وهادئ في الظاهر، إلا أنه في حقيقة الأمر يخفي في باطنه معاناته.[2]

فالكاتبة في هذه الرواية أرادت تصوير معاناة الفلسطينين سواء داخل البلد أو خارجه.

---

[1] – مسك مصطفى مرار: الشخصية في الرواية الفلسطينية (روايات أنور حامد أنموذجا)، موسى خوري، جامعة بيرزيت بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 36.

[2] – وليد أبو بكر: "بعض التحولات الخاصة في الرواية الفلسطينية الجديدة"، مجلة تبين، مصر، ع2، خريف 2015، ص 4، 5.

أما في الضفة والقطاع نتيجة الضغوطات العسكرية الإسرائلية والحروب، والعزلة والعجز عن مواجهة الاستعمار راح الكتاب يكتبون روايات تدور موضوعاتها حول الأحداث التاريخية المتمثلة في النكبة والشتات وغيرها من الأحداث الأليمة التي ألمت بفلسطين.[1]

تبين لنا أن أعمالهم عبارة عن مرآة عاكسة لواقعهم ومعاناتهم اليومية في ظل الإستدمار الإسرائيلي.

وتميزت الرواية في الفترة ما بين (53 و 67) بمعالجتها للقضايا السياسية وصراع العرب واليهود، وفيها شكلت الظروف السياسية الوعي الفكري للروائيين، كما يتجلى في نتاجهم الذي طغى فيه الموضوع على الأسلوب والميل إلى الوعظ وغابت التقنيات الفنية لمصلحة المباشرة.

أما الفترة الممتدة ما بين (1967 إلى الآن) شهدت تطورا مهما في المتن الروائي، نتيجة فك الحصار على فلسطين الداخل وانفتاحهم على تجارب أشقائهم في الضفة وغزة والوطن العربي، وكان **حزيران** نقطة تحول في كل مناحي الحياة بما فيها الأدب وإبداعاته، لأنه فكر الأمة وثقافتها.

وتميزت هذه المرحلة بمجموعة من السّمات أهمها:

1- البحث عن الذات:و يتجلى ذلك في قول: "غسان **كنفاني**" في نهاية روايته (**عائد إلى حيفا**): "فليست القضية قضية أرض فحسب، وإنّما الإنسان العربي عموما والفلسطيني المعذب على وجه الخصوص، الذي فقد ذاته إثر الهزيمة ويخوض رحلة البحث عنها.

2- النقد الذاتي للقيادة الفلسطينية والعربية.

---

[1] - جهينة عمر الخطيب: تطور الرواية العربية في فلسطين 48 (2012- 1948)، د ب، د ط، د ت، (PD) (book reader. Club) 9 :30سا 07/04/2021 .

3- الإشادة بقوافل الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم من أجل الوطن كما في رواية :"**عرس فلسطيني" النحوي** ".

4- إثارة موضوع إلتقاء عرب فلسطين عام 1948م بعرب الضفة الغربية وقطاع عزة.

5- تناول المرأة كموضوع خصب لكتاب رواية ما بعد حزيران كما في رواية "**أم سعد**".

6- أخذ موضوع المجتمع الإسرائيلي حيزا كبيرا في الرواية الفلسطينية، حين الخلاف بين طبقاته أو طوائفه وقد عالجت روايات "**أفنان القاسم**" هذا الموضوع.[1]

ويتضح لنا من خلال هذا "**حزيران**" كان له تأثير ايجابي على الرواية العربية عموما والرواية الفلسطينية على وجه الخصوص.

ثانيا- اتفاقية أوسلو وأثرها في الرواية الفلسطينية:

"يمثل اتفاق أوسلو" منعطفا في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية حيث انتقلت المفاوضات الفلسطينية، وترسيم سيادتها على أراضيها المحتلة، لتبدأ مرحلة جديدة من السلطة والمهام المتعلقة بها على المجلات السياسية والأمنية والإقتصادية، وبذلك تتشكل ملامح الكيان الفلسطيني ويحصل على حالة الاعتراف والاستقلالية تكون بضمانات دولية حيث يؤديها كثير من الفلسطينيين ويعتبرونها إنجازا وطنيا لبناء الدولة الفلسطينية وتحقيق الأهداف الفلسطينية"[2].

[1] - محمد بكر البوجي: "آفاق الرواية العربية في فلسطين بعد أوسلو".
(Chttps// pulpit. Alwatanvoie. Com. Articles/ 2016/ 3/ 10 /39818. Hitinl)/ 07/04/2021/

[2] - إبراهيم قرمة: اتفاقية أوسلو أبعادها الإقليمية والدولية 1991- 1995م، ومان حورية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة خيضر، بسكرة، 2019، ص 69.

أي أن هذا الاتفاق كان بمثابة المنعرج الحاسم في تاريخ الدولة الفلسطينية.

"فالرواية الفلسطينية بعد **أوسلو** تميزت بالارتباك والتشتت وإختفاء الأبطال التقليديين، وظهور أبطال مشككين ومترددين، مع ميل واضح لنقل الذات ومحاسبة النفس، لقد واجه العقل العربي العديد من الأسئلة القاسية بعد اتفاقية **أوسلو 1994م**، وقد أصاب الروائيين الأسئلة نفسها، وربما كانوا أكثر دهشة وحيرة وانكسارا، لأن هذا الاتفاق لم يكن هو الثمرة الناضجة لمجموع نضالات الشعب العربي، مقابل التخلي عن غالبية التراب الفلسطيني، والاعتراف بالدولة العبرية."[1]

من خلال هذا نلحظ أن اتفاقية أسلو جسدت خيبة كبيرة من جهة، ومن جهة أخرى كانت إيجابية على الأعمال الروائية.

كان لـ اتفاق **أوسلو** أثر كبير في الساحة الفلسطينية الروائية، حيث ظهرت روايات تاريخية ونقدية سيرية وغيرها وقد تميزت هذه الروايات بطرحها لقضايا لم يسبق أن طرحت من قبل "**عندما نلاحظ عطاء الرواية الفلسطينية بعد أسلو نجد أن اتحاد الكتاب الفلسطينيين قد أصدر في النصف الأول من العام 1996م سبع روايات إلى جانب ثلاث روايات أخرى صدرت عن دور نشر خاصة وهذا العدد الضخم نسبيا بالقياس لعدد سكان فلسطين، ولإمكانات النشر فيها، يساوي عدد الروايات التي صدرت في الأرض المحتلة في عهد الاحتلال الاسرائيلي. ويرى البعض أن هذا الكم الهائل من النص الروائي جاء على**

*اتفاق أسلو: هو اتفاق سلام وقعته اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية في 13 سبتمبر 1993م. بحضور الرئيس الأمريكي السابق "بيل كلينتون" وسمي الاتفاق نسبة إلى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرية في عام 1991 أفرزت هذا الاتفاق في ما عرف بمؤتمر مدريد .

(ar. M. wikipedia. Org.) الموسوعة الحرة 07 /04/ 2012 سا: 9:30.

[1] – محمد بكر البوجي: آفاق الرواية العربية في فلسطين بعد أوسلو.

حساب النص الشعري الثوري الذي جني توهجه مع الاتفاقية وهذا يعني انتهاء دور الشعر المقاوم"[1]. أي أن الرواية استطاعت أن تتفوق على الشعر بواسطة هاته الاتفاقية مع انتهاء دور الشعر وانتقاله إلى عباءة النص الروائي.

نستنتج من خلال ما سبق ذكره أن الرواية الفلسطينية تناولها الروائيون كتعبير عن قسوة وظلم ما جرى وانعكاس لواقع عاشوه أو سمعوا عنه من الآباء والأجداد، حيث تأثرت الرواية بالأحداث التي مرت على فلسطين وتناولتها بالطرح والمعالجة محاولة إيجاد حل المشكلات التي واجهتها بلادهم.

وفي عام 1948م تغيرت اتجاهات الأدب الفلسطيني فلم تبق الرواية على صورتها الأولى، فقبل النكبة الفلسطينة كانت أغلال كثيرة تقيد الرواية واتباع الروائي النمط التقليدي في السرد، مما أدى إلى نقص معرفة العقل العربي، بما يحدث حوله فنتج عن نقص في طبيعة المواضيع التي تشغلها طبيعة الرواية الفلسطينية اتجاه الأوضاع في فلسطين لكن مع النكبة وقدرة الروائي على كتابه حاضره وكتابة الرواية الحديثة من كونها تحمل رسالة أخلاقية وتعليمية إلى كونها تعبر عن الواقع السياسي والإجتماعي الجديد الناتج عن النكبة، إذ تحمل هاته الأخيرة في طياتها مواقف كثيرة من ناحية، أو رؤية بطولية من ناحية أخرى لمواقف المقاومة والأمل والإيمان بإنتصار العدالة في النهاية.

[1] – محمد بكر البوجي: آفاق الرواية العربية في فلسطين بعد أوسلو.

الفصل الأول: بحث في المفاهيم الأساسية

المبحث الأول: ماهية المكان وأهميته في العمل الروائي

المطلب الأول: مفهوم المكان

المطلب الثاني: أهمية المكان في بناء الرواية.

المبحث الثاني: أنواع المكان ووظيفته.

المطلب الأول: أنواع المكان.

المطلب الثاني: وظيفة المكان.

المبحث الثالث: مفهوم الفضاء وعلاقته بالمكان.

المطلب الأول: مفهوم الفضاء.

المطلب الثاني: العلاقة بين الفضاء والمكان.

المبحث الأول: ماهية المكان وأهميته في العمل الروائي.

المطلب الأول: تعريف المكان.

1/ لغة:

يحمل مصطلح "المكان" في طياته معاني عديدة ومختلفة باختلاف المعاجم :

في "**كتاب العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي**" في كتاب الكاف: "**والمكان اشتقاقه من كان يكون فلما كثرت صارت الميم كأنها أصلية فجمع على أمكنةٌ، ويقال أيضا تمكن، كما يقال من المسكين: تمسْكَنَ،وفلان مني مكان هذا، وهو من موضع العِمامة، وغير هذا ثم يخرجُه العرب على المفْعَل، ولا يخرجونه على غير ذلك من المصادر**".[1]

يقصد بالمكان هنا الانتماء والمكانة والشأن.

وجاء في "لسان العرب" **لابن منظور**" في مادة "**مكن**" "المكن والمِكن: بيض الضبة والجرادة ونحوهما قال أبو الهندي، واسمه عبد المؤمن عبد القدوس:

ومكْن الضباب طعامُ العريب ولا تشتهيه نُفُوسُ العَجْم.

والمكانة: التؤدة، وقد تمكن على مكينته أي تؤديه أبو زيد: يقال امش على مكينتك ومكانتك وهيئتك والمكان الموضع والجمع أمكنة... وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب؛ يبطل أن يكون مكانا فعالا لأن العرب تقول:

[1] – الفراهيدي (الخليل بن أحمد): كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي باب (الكاف)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1424هـ/ 2003م، ج 4، ص 59.

"كن مكانك، وقم مكانك، وأقعد مقعدك فقد دل على أنه مصدر من كان أو موضع منه"[1]. فالمكان حسب ابن منظور هو الموضع والحيز الجغرافي الذي يحدث عليه الفعل، أو بعبارة أخرى هو الرقعة التي تحدد وجودنا.

ونجد عند "**محمد بن يعقوب الفيروز أبادي**" في قاموسه "**المحيط**" في مادة مكن: "**المكنُ وكتفِ بيضُ الضّبة والجرادة ونحوهما، مكنت كمسمع، فهي مكونُ وأمكنت فهي ممكن وفي الحديث الطير على مكُناتها بكسر الكاف وضمها أي بيضها، والمكانة التؤدة، كالمكينة والمنزلة عند ملك ومكُن، ككرم، وتمكن فهو مكين مكناءُ والمكان: الموضع الجمع أمكنة وأماكن**"[2].

فهو يدل على كل مكان أو موضع.

أما معجم "**الوسيط**": "**المكان، المنزلة، يقال هو رفيع المكان والموضع جمع أمكنة والمكانة بمعنية السابقين**"[3].

إلى جانب قاموس "**الوسيط**" نجد الكلمة في معجم "**محيد المحيط**" "**لبطرس البستاني**" تحمل نفس المدلول ورد المكان بمعنى "**الموضع أو هو فعلُ من الكون: جمع أمكنة وأماكن وأمكن قليلا، ويقال: هذا مكان أي بدله، وكان من العلم والعقل بمكان أي: رتبة ومنزلة**"[4].

من خلال هذين التعريفين يتبين بأن المكان بمثابة المرتبة أي المكانة المرموقة وجمع أمكنة.

إضافة إلى ذلك في معجم "**الوجيز**" نجد أن: "**المكان المنزلة يقال هو الرفيع المكان الوضع، جمع أمكنة والمكانة، والمكان**"[5] ؛ أي المنزلة والرتبة والدرجة والقيمة.

---

[1] – ابن منظور (محمد بن مكرم على الإفريقي): لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 4، 2005م، مج 14، ص ص 112، 113.

[2] – الفيروز آبادي (محمد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب): قاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، د ط، 2008م، ص 1550.

[3] – إبراهيم وآخرون: معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د س، مج 1، ج 1، ص 806.

[4] – بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، لبنان، د ط، 1987م، ص 859.

[5] – معجم الوجيز: معجم اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، د ط، د ت، ص 506.

يقدم "**جبران مسعود**" في معجمه الرائد: "**(ك و ن) جمع أمكنة وأمكن، أماكن 1- موضع، 2- منزلة، 3- "اسم المكان" في الصرف: صيغة تدل على مكان وقوع الفعل، نحو: "ملعب"، 4- "ظرف المكان" في النحو: هو اسم مكان فيه معنى "في"، نحو: "كنت عنده".**

مكانة (م ك ن، ك و ن) 1-مكانات -مص مكُن 2- منزلة، مرتبة: "المكانة المرموقة"، 3- تؤدة تمهُّل: "امش على مكانتك"[1]

وردت لفظة المكان أيضا في القرآن الكريم بسياقات متعددة، كقوله تعالى في سورة مريم: "**وَاْذْكُرْ فِي اْلْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اُنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**"[2]. ؛أي اتخذت مستقرا نحو الشرق.

وكذلك في قوله تعالى: "**وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً.**"[3]

كما وردت بمعنى المنزلة الرفيعة في آيات عديدة منها قوله تعالى: "**وَاْسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ اْلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ**"[4].

وفي قوله تعالى في سورة يوسف: "**قَالُواْ يَا أَيَّهَا اْلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنّاَ نَرَاكَ مِنَ اْلْمُحْسِنِينَ**".[5]

أي بمعنى موضعا أو محلا شرقيا عن أهلها ،أي بمعنى بدل.

يتضح لنا من خلال ما ورد في القرآن الكريم أنه أعطي للفظة المكان معاني كثيرة وعديدة، حيث نجد المعنى يختلف من آية لأخرى منها: المنزلة، والموضع، أو بذل.

---

[1] – جبران مسعود: الرائد، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م، ص 845.

[2] – الآية: 16، سورة مريم.

[3] – الآية: 57، سورة مريم.

[4] – الآية: 41، سورة ق.

[5] – الآية: 78، سورة يوسف.

من خلال التعريفات السابقة والتي تتوافق مع الكثير من التعريفات الموجودة في بطون المعاجم والقواميس القديمة والحديثة حول مادة "**كون**" و "**مكن**" وما يتفرع منها من ألفاظ "**ومكانة**" وغير ذلك من المشتقات نحصل على أن المكان لدى اللغويين هو الموضع المشغول والذي يدل على الخلق، المرتبة، والمنزلة، والمكان يتضمن الزمان فلا حدث يقع إلا في مكان ما وفي زمن محدد.

2- اصطلاحا:

يعد المكان عنصرا مهما في العمل الروائي خاصة والعالم السردي عامة، إذ لعب دورا بارزا في النقد الأدبي الحديث، فلا يمكن تصور حكاية بدون مكان ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين، لهذا اختلفت الآراء حول تحديد مفهومه اختلافا بينا وواضحا سوف نقف عند أهم التعريفات الاصطلاحية التي تناولت هذا المصطلح:

يستحضر "**حسن مجيد الربيعي**" في كتابه الموسوم "**بنظرية المكان في فلسفة ابن سينا**" جملة من التعريفات لأهم الفلاسفة الغرب المنتمين إلى المدرسة القديمة والحديثة والمعاصرة نقتطع منها ما يأتي:

-أفلاطون (Platon) يعرف المكان بأنه ما يحوي الأشياء ويقبلها، ويتشكل بها.

- أما الفيلسوف الرياضي"**اقليدس**" فالمكان عنده ينبغي أن يكون ذا ثلاثة أبعاد هي الطول والعرض والعمق.[1]

في حين يعتبر "**سبينوزا**" و"**مالبراش**" المكان امتدادا غير متناه.

أما العالمان الفيزيائيان "**نيوتن**" و "**كلارك**" إضافة إلى اعتبارهما المكان حاو لأشياء كماعده أفلاطون فإنهما يضيفان إلى هذا التعريف خصائص: **اللاتناهي، الأبدية، القدم، عدم الفناء.**[1]

[1] - باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط 1، 1429/ 2008م، ص 171.

فـالملاحظ بعـد عـرض آراء الفلاسـفة الغـربيين الـذين تنـاولوا مسـألة المكـان في أبحـاثهم أن مفهـوم المكـان إصطلاح أنشأه الإنسان لكي يحدد موضعه في المكان، فهو ملتصق بحياة البشر.

أما أرسطو فيرى أن المكان هو: "الحاوي الأول وهو ليس جزءا من الشيء لأنه مساوٍ للشيء المحوي وفيه الأعلى والأسفل"[2]

يتبين أن تصور المكان عند "**أرسطو**" لا يختلف عن تصور "**أفلاطون**" ؛حيث أن مفردة المكان يقصد بها الوعاء الحاوي للأشياء.

في الموضوع ذاته نجد "**الفارابي**" ينهل من فكرة أرسطو ويقتدي بموقف الكندي في مفهومه للمكان وإقراره بوجوده إذ يرى أن لكل جسم طبيعي مكانا خاصا به يتحدد هذا المكان وينجذب إليه.[3]

الفارابي من خلال تعريفه هذا وافق أرسطو في فكرته إذ يرى لكل جسم مكانا يتحد به ويستقر عليه.

كما نجد **ابن سينا يعرف المكان بقوله:" هو السطح المساوي لسطح المتمكن وهو نهاية الحاوي الممارسة لنهاية الحاوي... أن هذا المكان هو المكان الحقيقي، أما المكان غير الحقيقي هو الجسم المحيط"**[4]

---

[1] – باديس فوغالي:الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ،ص 171.

[2] – فهد حسين: المكان في الرواية البحرينية دراسة في ثلاثة روايات (الجدوة، حصار، أغنية الماء والنار)، دار فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط 1 2003م، ص 55.

[3] – المرجع نفسه، ص 172.

[4] – لعموري عليش: اشكالية المكان والزمان في فلسفة ابن سينا (دراسة تحليلية نقدية)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2009م، ص 206.

أي يفرق بين مفهومين للمكان حقيقي وغير حقيقي، الحقيقي يقصد بها السطح، أما غير الحقيقي فهو الجسم المحيط.

ومن جهة أخرى يعرف المكان في مفهومه الأدبي: **"شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشيد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث فالمكان يكون منظما بنفس الدقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر فيها ويقوي من نفوذها كما يعبر عن مقاصد المؤلف، وتغيير الأمكنة الروائية سيؤدي إلى نقطة تحول حاسمة في الحبكة وبالتالي في تركيب السرد الدرامي الذي يتخده..."**[1]

أي للمكان قيمة مهمة في بنية النص الروائي وليس مجرد خلفية تقع فيها الأحداث.

أما **"ياسين النصير"** فله أكثر من رأي عن مفهوم المكان إذ يقول: **"المكان عندي مفهوم واضح يتلخص بأنه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءا من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه".**[2]

يتبين لنا بأن المكان نقطة وصل بين الإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه.

كما ذهب في تعريف آخر: **"وعندي يشكل المكان في الرواية الأرضية التي تشد جزئيات العمل كله فهو إن وضح الزمن الروائي وإن درس بعناية فهمت الشخصية"**[3].

المكان هنا يساعد على فهم العمل وجمع شتاته.

---

[1] – حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء– الزمان– الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990م، ص 32.

[2] – ياسين النصير: الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ،العراق، ط 2، 1986م، ص 16.

[3] – ياسين النصير: دراسة في فن الرواية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، د ط، 1980م، ص 6.

وللمكان دور في العمل الروائي لأنه يمثل العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل بعضها ببعض وهو عنصر فاعل ويكون جوهريا من مكونات الرواية ولا يقتصر دوره على كونه وعاء الشخصية والحدث، بل يصبح صاحب السيادة المطلقة في إنتاج الشخوص... فلم يعد المكان موقعا للحدث ولا بعدا جغرافيا لحركة الشخصيات إذ وجد في الأعمال الروائية من خلال توضيح وجهة النظر.[1]

المكان هو العنصر المهم في بناء الرواية من خلال السرد، الوصف، الحوار.

ويعرف المكان كذلك أنه المحتوى للزمان الروائي خاصة وعنصر بنائي في تشيد الرواية وهذا ما يدل عليه قول "**محمد مفتاح**": "**إن الزمان بأنواعه المختلفة إطاره هو المكان الذي ينجز فيه ولذلك فإنه لا مناص عنه**"[2]

فالرواية إن اعتبرت فنا زمنيا، فإن هذا الزمن لا يتحقق إلا في إطار مكاني وحيث دراسته، وتضيف الناقدة "**سيزا قاسم**" أثناء تحديدها الإطار الزماني لأحداث ثلاثية نجيب محفوظ أن الرواية شبيهة بالفنون التشكيلية في توظيفها المكاني الذي يقوم بدور أساسي في بناء الرواية.

يركز البنيويون على ضرورة التمييز بين المكان الروائي والمكان الواقعي (المكان الحقيقي) الذي يوجد خارج العالم الروائي التخيلي، يطلق عليه النقاد تسميات عديدة منها **المكان الموضوعي والمكان الخارجي والمكان الطبيعي والمكان المرجعي**؛ أي هاته الأسماء موجودة خارج الخطاب الروائي في الواقع المعيش، أما المكان الروائي فهو المكان المتخيل الذي يوجد داخل العالم الروائي وهو لا يتشكل إلا باللغة وعلاماتها.[3]

---

[1] –هيام شعبان: السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، 2003م، ص 277.

[2] – الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2010م، ص 189.

[3] – أحمدحفيظة:بنيةالخطاب في الرواية الفلسطينية،منشورات أوغارين الثقافي،رم الله،فلسطين،ط2008،1م،ص122.

من خلال هذا نفهم بأن المكان الروائي يعتمد على المخيلة وتقريب صورة المكان إلى القارئ في حين نجد المكان الواقعي موجود خارج العالم الروائي.

أي أن المكان في الأدب لا يفهم من خلال وصفه المادي فالأديب أو الروائي يتعامل معه بخياله.

بالإضافة إلى ذلك نجد "**إبراهيم السعافين**" في كتابه **دراسة في الرواية العربية** يعرف المكان بأنه "**الوعاء الذي يجمع الحدث والشخصية وغيرها من عناصر القصة والطبيعة الجغرافية التي تجري فيها الأحداث والمحيط وما فيه من ظروف وأحداث تؤثر في الشخصيات**"[1].

يتضح لنا أن المكان صورة إنزياحية ذهنية تطبع فيه الشخصية بكل انفعالاتها.

إضافة إلى ذلك نجد مصطلح **المكان** شغل الكثير من النقاد الغربيين فهو من أهم المصطلحات النقدية التي دخلت عالم الدراسات والبحوث، لذلك حاول النقاد الغربيون التمييز بين المصطلحات الآتية، والتي تصب جميعا في مفهوم المكان وهي: **الحيز، المجال، الموقع، الفضاء.1**

المنظرون الألمان ميزوا بين مكانين متعارضين في العمل الحكائي هما: (RAUMLOKAL) حيث عنوا بالأول المكان المحدد الذي يمكن أن تضبطه الإشارات الاختيارية كالمقاسات والأعداد.[2]

في حين قصدوا بالثاني: الفضاء الدلالي الذي تؤسسه الأحداث ومشاعر الشخصيات في الرواية.[3]

[1] – إبراهيم السعافين: دراسة في الرواية العربية، دار الشروق، عمان، الأردن، د ط،دس، ص 165.

[2] – باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص 175.

[3] – المرجع نفسه، ص 175.

"**يوري لوتمان**" يعرف على أنه (مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف والأشكال والصور والدلالات المتغيرة التي تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الامتداد والمسافة)[1].

العلاقات التي يعينها "**لوتمان**" في هذا التعريف هي الطباقات المكانية أو الثنائيات الضديةكألفاظ القريب البعيد، فوق، تحت، يمين، يسار...

أما النقاد الفرنسيون فقد ضاقوا ذرعا بمحدودية مصطلح (Lieu) الموقع، فعمدوا إلى استخدام كلمة « Espace » الفضاء إذ اعتبر كل من "**غاستون باشلار**" و"**بولي**" الفضاء محتوى تتجمع فيه مجموعة الأشياء المتفرقة أو عملية التذكر. وذلك من خلال جدلية الداخل والخارج بالنسبة **لباشلار** والمسافة الداخلية بين الفكرة وموضوعها بالنسبة **لبولي**.[2]

ليأتي **رولان بورنوف (Roland Boureut)** محاولا "أن يملأ هذه الثغرات (...) وذلك حين تساءل بصدد الضرورات الذاخلية التي يخضع لها التنظيم المكاني في الرواية مقترحا علينا (....)

أن نحلل مظاهر الوصف وتهتم بوظائف المكان في علاقته مع الشخصيات والمواقف والزمن"[3].

أما "**غريماس**" فقد انطلق في مفهومه للمكان من منطلق الرؤية (Lespace Visionde) إذ يرى أنه أي الفضاء النصي حسب اقتراحه موضوع مهيكل يحتوي على عناصر متقاطعة غير مستمرة غبر امتداده وفق نظام

---

[1] – باديس فوغالي:الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص 175.

[2] – المرجع نفسه، ص 175.

[3] – حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء– الزمن– الشخصية)، ص 20.

هندسي متميز، يسهم في تصوير التحولات والعلاقات المدركة، والمحسوسة بين الذوات الفاعلة داخل الخطاب السردي"[1].

كما تقترح الناقدة "**جوليا كريستيفا**" من خلال دراستها لفن الرواية رؤية الفضاء **(Kisionde léspace)** الذي ترى في ضوئه الرؤية الفنية للمبدع في عمله الإبداعي إزاء الكون وما يحيط به.[2]

أما النقاد الانجليز فلم يكتفوا باستخدام مصطلح **(léspac PLace)** المكان والفضاء بل أضافوا مصطلحا آخر هو (Zocation) بقعة للتعبير عن المكان المحدد لوقوع الحدث."

نستنتج من خلال التعاريف السابقة الذكر لأهم النقاد الغربيين أنه بالرغم من اختلافهم في تسمية المكان والألفاظ، إلا أنه هناك اتفاق بينهم على أن المكان هو من أهم مقومات العمل الروائي، التي تجري فيه الأحداث فضلا عن كونه ينقل مشاعر الشخصيات التي تعيش في مكان معين.

في حين نجد تأخر مصطلح المكان في النقد الغربي فإن ظهوره في النقد العربي قد كان أكثر تأخرا كما أن استخدامه يختلف من باحث لآخر يتعدد التسميات (**الحيز، المكان، الفضاء**).

ولعل أولى بوادر الاهتمام به قد بدأت مع ترجمت الناقد الروائي العراقي "**غالب هالسا**" كتاب شعرية الفضاء (poétique de Léspace) لغاستون باشلار، إذ نقله إلى العربية تحت عنوان "**جماليات المكان**" ثم تلته دراسات أخرى، ضمن دراسات الرواية والقصة والشعر.[3]

---

[1] – باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص ص 175، 176.

[2] – المرجع نفسه، ص 176.

[3] – المرجع نفسه،ص176.

أما النقاد الذين أولوه عناية خاصة في مختلف الدراسات التي أجزوها في تحليل الخطاب الروائي، فنذكر منهم على وجه الخصوص الناقد المغربي "**حميد لحميداني**" في كتابه "**بنية النص السردي**" الذي يعتبروه (**بمثابة العمود الفقري لأي نص، بدونه تسقط تلقائيا العناصر المشكلة له**)[1].

كما يؤكد لحميداني استخدام لفظة الفضاء كبديل للفظة المكان فيقول: "الفضاء أشمل وأوسع معنى من المكان والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء وما دامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة".[2]

أي أن المكان متعلق بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي وهو مجموع الأحداث الروائية المكونة للفضاء.

ونجد "**سيزا قاسم**" قد عرفت المكان بقولها: "**المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث الروائية**" [3]

معناه أن المكان هو مركز الأحداث التي ترد في النص السردي.

كما يتجاوز الدكتور "**عبد الفتاح عثمان**" المفهوم الهندسي للمكان باعتباره رقعة جغرافية إلى دلالته الواسعة التي تشمل البيئة بأرضها وناسها وأحداثها، إذ يصبح المكان كائنا حيا يمارس حركته في الخطاب يؤثر ويتأثر بباقي المكونات الروائية خاصة الشخصيات[4].

على حد هذا التعريف نفهم بأن المكان ليس مجرد فضاء جغرافي محدد الأبعاد هندسيا إنما هو تجسيدلإبداعته الأدبية.

---

[1] – باديس فوغالي:الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص ص 176، 177.

[2] – حميد لحميداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1991م، ص 63.

[3] – سيزا قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، القاهرة، د ط، 1978م، ص 106.

[4] – الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، ص 191.

كما نجد في منطلق السرد "عبد الحميد بورايو" قد عقد فصلا لدراسة أنماط وأشكال حضور الزمان والمكان في نماذج روائية جزائرية، وفضل في مقاربته استعمال مركب يجمع بين صيغتي **"حيز" "مكان"** بما سَمَّاهُ الحيز المكاني مفرقا في ذلك بينه وبين ما أسماه **"الحيز النصي"**[1].

فالحيز النصي لديه كل ما يقع تحت البصر أما المكاني فهو الذي يشمل الأماكن المتخيلة أو الفعلية.

ويبقى المكان "تقنية أساسية في بناء الرواية وأي نص سردي يحيط به زمان ما يقع في مكان معين، فالمكان هو الإطار التي تقع فيه الأحداث"[2]. أي قد يكون المكان متخيلا أو حقيقيا ولكن يظل مركز الأحداث.

وخلاصة القول أن مفهوم المكان قد اختلف من ناقد للآخر ومن عالم الآخر، إذ أن كل واحد يفسره حسب تخصصه وفهمه ولهذا تنوعت المفاهيم في النقد الأدبي لذلك حظي بمنزلة قيمة واهتمام واسع من قبل الفلاسفة والأدباء والنقاد الغربيين من جهة والعربيين من جهة أخرى إذ أصبح المكان يشكل هوية من هويَّات الخطاب الروائي.

المكان في نظر الدارسين لم يبق مجرد بقعة جغرافية أو ديكور في الرواية، وإنما يعتبر المعبر الرئيسي بين الرواية والشخصيات فهو العمود الأساسي الذي يقوم عليه الهيكل البنائي للنص الروائي.

أما بالنسبة لاختلاف النقاد في تحديد تسمية موحدة لمصطلح المكان والفضاء إلا أن تبق صلة وثيقة بين الفضاء الروائي والمكان الروائي وإن كان مفهوما مختلفا يبقى عنصر من عناصر السرد المهمة.

---

[1] – عبد الحميد بورايو: منطق السرد (دراسات في القصة الجزائري الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1994م، ص 116.

[2] – شعبان عبد الحكيم محمد: الرواية العربية الجديدة، دراسات في آليات السرد وقراءات نصية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ،دب، ط1، 2014، ص 80.

المطلب الثاني: أهمية المكان في بناء الرواية.

لعب المكان أهمية بالغة في العمل الأدبي والفني فهو عنصر فعال في حياة الإنسان منذ القديم وحتى الوقت الحالي؛ إذ يعد "**المكان في العمل الفني شخصية متماسكة، ومسافة بالكلمات، ورواية غائرة في الذات الاجتماعية، ولذا لا يصبح غطاء خارجيا أو شيئا ثانويا، بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني**"[1] .

يتبين لنا أن المكان هوالعنصر الأساسي في بناء الرواية وليس شيئا ثانويا فحسب.

وتظهر أهمية المكان في تشكيل العالم الروائي ورسم أبعاده: "إن تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع بمعنى يوهم بواقعيتها، أنه يقوم بالدور الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح، وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين"[2].

أي أن المكان هو المحيط الذي تترك فيه الشخصيات وتجري فيه الأحداث.

ولتزيد أهمية المكان يجب أن يكون: "**كأي شخصية أخرى يجب أن يكون عاملا وفعالا وبناء في الرواية وإلا أصبح كتلة شحمية لا تضيف إلا الترهل من هنا كان المكان يلعب في بعض الروايات الرشيقة دور البطولة وليس عنصر البطالة**"[3]، لذلك فالمكان يقدم خدمات فنية.

كما أن المكان المساحة التي تجسد وعي الكاتب ووجهة نظره، "**فالمكان ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا ومعان عديدة، بل لأنه قد يكون في بعض الأحيان الهدف من وجود العمل كله**"[4] .

---

[1] – ياسين النصير: الرواية والمكان (الموسوعة الصغيرة)، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، د ط، 1407هـ/ 1986م، ص 16.

[2] – حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دار البيضاء، دب، ط 3، 2000م، ص 65.

[3] – شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،دب، ط 1، 1994م، ص 275.

[4] – حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء –الزمان–الشخية)، ص 33.

نفهم من هنا بأن المكان جزء مهم من تقنيات إنتاج المعنى بوجوده تتكامل العناصر الأخرى، ومن خلال حضوره تكتسب الرواية مكانتها وقيمتها الفنية.

ويضيف "**حسين بحراوي**" عن أهمية المكان في قوله: "**والحال أن المكان الذي يعيش فيه منعزلا عن باقي السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد، كالشخصيات والأحداث والرؤيات، وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد**"[1] .

يتضح لنا من خلال تعريف بحراوي أن المكان مرتبط مع بقية العناصر البنائية الأخر بخطية الأحداث السردية وهذا الارتباط الإلزامي بين الفضاء الروائي والحدث هو الذي سيعطي للرواية تماسكها وانسجامها.

كما يؤكد كذلك على علاقة الرواية الحديثة وارتباطها بالمكان: "**إن الرواية الحديثة خاصة منذ بالزاك، قد جعلت من المكان عنصرا حكائيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فقد أصبح الفضاء الروائي مكونا أساسيا في الآلة الحكائية**" [2]

يتبين لنا هنا أن الفضاء المكاني أصبح عنصرا مهما ومكوننا أساسيا في السرد الحديث ومصدر أساسي أيضا.

وقد أصبح المكان يستحوذ كل عمل فني فهو بؤرة الأعمال الأدبية سواء كانت قصصية أو شعرية أو روائية باعتباره الإنطلاقة الفعالة لكل عمل أدبي.[3]

---

[1] – حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء –الزمان–الشخية)، ص 26.

[2] – المرجع نفسه، ص 27.

[3] – ياسين النصير: الرواية والمكان(الموسوعة الصغيرة)، ص 16.

كما أن المكان يضمن التماسك البنيوي للنص الروائي ومن خلال المكان وحركته يمكننا إدراك الزمن، ووفقا للارتباط الجدلي بينهما، فكل منهما يفترض الآخر ويتحدد به... المكان هو الفسحة الحيز الذي يحتضن عمليات التفاعل بين الأنا والعالم، ودون معرفة بأسرار المكان وفلسفته يصعب التواصل.[1]

نلاحظ هنا أنه لا يمكن الفصل بين الزمان والمكان فهما متلازمنا، إذ أنهما وجهة لعملة واحدة لا يمكن وجود واحدة بدون الأخرى.

كما أشارت "**سيزا قاسم**" إلى أهمية المكان في النص الروائي في قولها: "**إن المساحة التي تقع فيها الأحداث والتي تفصل الشخصيات بعضها عن البعض بالإضافة إلى المساحة التي تفصل بين القارئ وعالم الرواية لها دور أساسي في تشكيل النص الروائي**".[2]

نجد هنا أن المكان بمثابة الساحة أو الأرضية التي تقع فيها الأحداث، ولها دور أساسي في بناء الرواية.

وأيضا تظهر أهمية المكان عند "**عمر عاشور**" كذلك في قوله "**ومنه لا يمكننا تحليل سرد رواية بدون مكان حيث أن المكان مكون سردي لا تقل أهميته البنائية عن المكونات الأخرى بل أنه يصبح أحيانا محددا للوظيفة الحكائية للسرد يتحكمه في الأحداث والحوافز**"[3].

أي أن المكان بمثابة نقطة وصل ما بين العناصر البنائية الأخرى من شخصيات وأحداث، إذ يعتبر الحيز الذي يعيش فيه الإنسان.

---

[1] – مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار– الدقل– المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د ط 2011م، ص 36.

[2] – سيزا قاسم: بناء الرواية، ص 103.

[3] عمر عاشور (ابن الزيبان): البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال)، دار هومةللطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، د ط، 2010م، ص 31.

كما يكتسب أهمية أخرى يثير الإحساس بالمواضة من جهة أخرى وإحساسه بالزمن المحلي من جهة أخرى إذ يدفعنا إلى الاعتقاد أنه لا يمكن أن يحدث شيء بدونه فقد حمله بعض الروائيين تاريخ بلادهم، ومطامح شخوصهم فكان هو الواقع والرمز الموجود في مخيلتهم، ويمكن أن نلمس فلسفة المكان وحدوده الثقافية في الأزقة والمقاهي والحارات الشعبية، وهذا ما أشار إليه نجيب محفوظ وغيره من الكتاب العرب.[1]

إشارة النقاد إلى أهمية المكان في بحوثهم ودراساتهم وتطبيقاتهم في النقد الروائي، لو أمعنا النظر في كتاب عالم الرواية لوجدنا "المكان بعد أن كان عنصرا لا يكترب، أصبح يعبر عن نفسه من خلال أشكال معينة، ويتخذ معاني متعددة بحيث يؤسس أحيانا علة وجود الأثر"[2]

في حين يرى "**محمد عزام**" أن المكان قد لقي اهتماما كبيرا من طرف الشعراء سواء قديما أو حديثا: "**...ذلك أنه لا أحداث ولا شخصيات يمكن أن تلعب دورها في الفراغ دون مكان، ومن هنا تأتي أهمية المكان ليس كخلفية للأحداث فحسب، وبل كعنصر حكائي قائم بذاته إلى جانب العناصر الفنية الأخرى المكونة للسرد الروائي**"[3] .

أي أنه يعتبر مكونا روائيا جوهريا، وعنصرا يدخل في تسلسل الأحداث وتطورها.

ويؤكد في موضع آخر حول شعرية الفضاء "**ولعل دراسة (شعرية الفضاء)، 1957 لغاستون باشلار (G. Bachlard) هي التي نبهت النقاد والباحثين إلى أهمية المكان في الإبداع الروائي العربي فكان**

---

[1] – قصي جاسم أحمد الجبوري: المكان في روايات تحسين كرماني، إشراف منتهي طه الحراشة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، 2015/ 2016م، ص 10.

[2] – المرجع نفسه: ص 11.

[3] – محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2005م، ص 65.

غالب هلسا أول الدارسين للمكان، وذلك في كتابه (المكان في الرواية العربية)، درس فيه التأثير المتبادل بين المكان والسكان، وأظهر أن المكان ليس ساكنا، بل هو قابل للتغيير بفعل الزمان"[1]

يتضح هنا أن المكان ليس بشيء ثابت، بل متحرك وقابل للتغير بفعل الزمن.

"وقد ظهرت أهمية المكان عند كثير من الباحثين القدماء والمحدثين، وظهرت آراء عدة تتناول أهمية ماهيته، إذ يرى بعضهم أن المكان حقيقة معيشية يؤثر في البشر بالقدر نفسه الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي، وكل مكان مدين ما لم تحر عليه خبرة الإنسان وتاريخ المعرفة هو تاريخ العلاقة بين الإنسان والأشياء التي اختبرها "[2]

يتبين لنا هنا أنه هناك علاقة بين المكان والإنسان هي علاقة تأثير وتأثر.

إضافة إلى ذلك نجد هناك علاقة تأثير بين المكان والشخصيات :**"إذ يعد المكان عنصرا أساسيا في تشكيل بنية الشخصيات كما أنه لا يتشكل إلا من خلال اختراق هذه الشخصيات له وظهورها فيه بمميزاتها والأحداث التي تقوم بها فيه"**[3]

فهو بهذا يكشف عن شخصية الإنسان ويعطي له قيمته الجوهرية.

وقد **"كان وراء الاهتمام بالمكان ظواهر حضارية وإنسانية معاصرة فالعالم سمته الإنسانية هي التشتت، ومن هنا فإنه يحتاج إلى وعاء يفرض عليه شكلا أو نسقا تجميعيا، تكتسب الجزئيات في وتقته الصاهرة قيمتها ودلالاتها وصلاحتها الوجودية معا أو في عالم يفتقد إلى الأحداث الكبيرة والشخصيات**

---

[1] – محمد عزام:شعرية الخطاب السردي، ص 65.

[2] – قصي جاسم أحمد الجبوري: المكان في روايات تحسين كرمباني، ص 11.

[3] – المرجع نفسه، ص 12.

الكبيرة، عالم تفتقد فيه الأحداث الكبيرة قدرتها على لم شمل هذا الشتات وعلى استقطاب جزئياته ومجزءاته ويصبح المكان هو البؤرة والوعاء ومصدر القيمة"[1]

نجد هنا أن المكان بمثابة الوعاء الذي يقوم بجمع شتات العالم فهو البنية الأساسية في العمل الفني.

نستنتج من خلال كل ما سبق أن للمكان أهمية كبيرة في بناء الرواية، وهذه الأهمية لا يخفى على أي أحد ولما يقوم به من دور رئيسي في حياة الإنسان، لأن حياته ككل رحلة مكانية تبدأ برحم الأم وتنتهي بالقبر.

حيث شغل المكان حيزا مهما في الطبيعة البنائية لسير الأحداث وتطورها وتغيرها، كما يمثل بؤرة مركزية للأحداث الحاصلة في العمل السردي، فهو العنصر الغالب فيها ولا يمكن الاستغناء عنه.

[1] – أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2001، ص 11.

المبحث الثاني: أنواع المكان ووظيفته.

المطلب الأول: أنواع المكان.

اختلف النقاد والباحثون في تحديدهم لأنواع المكان في الرواية، كما اختلفوا في تسمية هذه الأماكن إذ وجدت عدة تقسيمات للمكان منها الضيق المغلق والمتسع المفتوح.

ومن هنا سوف نتوقف عند أهم الأمكنة التي تجري فيها الأحداث باعتبارها تختلف من حيث الشكل والمساحة والحجم، إلا أنها صارت عنصرا مهما من عناصر السرد ولعل من أهم هذه الأنواع:

أولا: الأماكن المفتوحة.

يعتبر المكان المفتوح: **"حيز مكاني خارجي لا تحدده حدود ضيقة يشكل فضاءا رحبا وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق"**[1] ؛أي أنه يشمل جميع الأنشطة والحركة التي تلتقي فيها مختلف الشخصيات دون قيود بفضلها يتحقق التواصل مع الآخرين.

ويعرفها "عبد الحميد بورايو" في قوله:" ونقصد هنا انفتاح الحيز المكاني واحتضانه لنوعيات مختلفة من البشر وأشكال من الأحداث"[2].

فالأماكن المفتوحة هنا هي الساحة التي يلتقي فيها الإنسان لانتقال الشخصيات وتعود العلاقات فيما بينهم.

---

[1] – أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2009، ص 51.

[2] – عبد الحميد بورايو: منطق السرد (دراسة في القصة الجزائرية الحديثة)، ص 146.

وتتخذ الروايات في عمومها "**أماكن منفتحة على الطبيعة، تؤطريها الأحداث مكانيا، وتخضع هذه الأماكن لاختلاف يفرض الزمن المتحكم في شكلها الهندسي، وفي طبيعتها، وفي أنواعها إذ يظهر فضاءات وتختفي أخرى**"[1] فالزمن هنا هو المتحكم في الأحداث.

وأيضا: "**فالمكان المفتوح هو الذي يتردد عليه الفرد دون قيد أو شرط مع عدم الإخلال بالعرف الاجتماعي أي ممارسة سلوك غير سوي يرفضه المجتمع كالسرقة والعدوانية، وهو عنصر أساسي تتحرك من خلاله الشخصيات الروائية فضلا عن كونه عضيد الزمن الذي يتعامل معه الكاتب**"[2].

نجد هنا أن المكان المفتوح هو الذي يتحرك فيه الفرد دون قيود تحده أو تمنعه، ولكن بشرط أن لا يخالف أعراف المجتمع وتقاليده.

وقد "**تكون هذه الأماكن مفتوحة من جانب واحد شرط أن تكون مفتوحة من الأعلى وبالتالي فهذا الانفتاح يعطي خصوصية كبيرة للشخصية من خلال إضفائه الارتياح على روحها على الرغم من الحزن،المفتوحة الطرق والأسواق إلى حدائق والمدن والضواحي والبساتين والصحراء وساحات الحروب وغيرها**"[3].

أي يجب أن تكون الأماكن مفتوحة تترك طابع ترفيهي في النفس من خلال الشوارع والأحياء والمحطات.

إذ تبعث: "**في الشخصية الشعور بالراحة والارتياح وتسمى أماكن مفتوحة كونها تكون مفتوحة على الخارج، أماكن اتصال وحركة حيث يتجلى فيها بوضوح الانتقال والحركة، وتقسم إلى مفتوح خاص وعام،**

---

[1] – الشريف حبيلة: بنية النص الروائي(دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، ص 244.

[2] – قصي جاسم أحمد الجبوي: المكان في روايات تحسين كرمياني، ص 92.

[3] – ضحى علي فهد: "علي أحمد باكثير وأدبه النثري (الرواية التاريخية أنموذجا) دراسة فنية" رسالة ماجستير الجامعة العراقية، بغداد، 2011م، ص 190.

إذ تمثل هذه المجموعة كل أماكن الانتقال، وهي بالطبع كل الأماكن المعادية للأماكن الإقامة، والتي تتسلل معها أقساها جدليا بين الداخل والخارج وإن كانت في حد ذاتها متفرعة"[1].

نفهم بأن الأماكن المفتوحة تتقسم هي الأخرى إلى أماكن عامة يرتاح فيها الآخرون بسهولة، في حين نجد أماكن مفتوحة خاصة لأناس يمتلكونها مثل الأراضي ذات الملكية الخاصة.

إذ أن الأماكن المفتوحة تكون مفتوحة من جانب واحد فأكثر شرط أن تكون مفتوحة من أعلى ،وبهذه فهي التي تمنح الراحة والطمأنينة للإنسان وتجعله أكثر قوة وتفاؤلا في مواجهة صعوبات الحياة المختلفة، لذلك تجد الإنسان يذهب إلى هذه الأماكن لأنها تساعده وتخفف عنه الضغوطات التي يمر بها وتنقسم هذه الأماكن إلى: **أماكن مفتوحة عامة:** ويتمحور فيها شخصيات مختلفة تدفعه الظروف إليها فتصبح هي **الملجأ** الوحيد الذي يشعر فيه بالارتياح نذكر على سبيل المثال **المرتفعات والأزقة والحدائق العامة.**

أماكن خاصة: وتشتمل على كل ما هو خاص لأناس يمتلكونها ونذكر على سبيل المثال: **الحدائق المنزلية، الأراضي الخاصة، المزارع...**[2]

أما **"أماكن الانتقال فتكون مسرحا لحكة الشخصيات وتنقلاتها، و تمثل الفضاءات التي نجد فيها الشخصيات ونفسها وكلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة، مثل الشوارع والأحياء والمحطات وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي"**[3].

نلاحظ هنا أن هذه الأماكن بمثابة العالم الذي يلجأ إليه الإنسان ليغير من نفسيته، حتى يتحصل على نفسية جديدة.

---

[1] – سعاد دحماني: "دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ"،رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2008م، ص 88.

[2]–عبد الرحمان منيف:دلالة المكان في رواية مدن الملح،إشراف ،زكريا بحوص كلية الآداب واللغات،قسم اللغة والأدب العربي،جامعة محمد بوضياف المسيلة،2016م،ص ص39،40.

[3] – حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء–الزمان– الشخصية)، ص 40.

كما أن لهذه الأماكن دورا فعالا في بناء الرواية ".....ستساعدنا على تحديد السمة أو السمات الأساسية التي تتصف بها تلك الفضاءات وبالتالي الإمساك بها هو جوهري أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها"[1]

يتبين لنا هنا أن الأماكن بمثابة الركيزة الأساسية التي يقوم عليها العمل الفني (الرواية) على وجه الخصوص.

نستنتج من خلال ما سبق ذكره أن الأماكن المفتوحة تسمح للشخصيات بالتنقل دون قيود، تحد في حركاتها فهي تتميز باللامحدودية والحرية.

ثانيا: الأماكن المغلقة.

أماكن ترمز للكبت والإنغلاق وتؤدي الأماكن المغلقة دورا محوريا في الرواية لأنها ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشخصية الروائية، وتتفاعل الأمكنة المغلقة مع الأماكن المفتوحة بالإيجابيات والسلبيات وتصبح هذه الأماكن مليئة وعامرة بالأفكار والذكريات، فالأماكن المغلقة تولد المشاعر المتضاربة في النفس، وتخلق لدى الإنسان صراعا داخليا بين الرغبات وبين والواقع.[2]

كما أنها أماكن تحدها أطر مغلقة على الفضاء الخارجي وهذا ما يؤكده **"الشريف حبيلة"** في كتابه **"بنية الخطاب الروائي"** يقول: **"يكتسب المكان وجودا من خلال أبعاده الهندسية والوظيفية التي يقوم بها، فإذا كانت الفضاءات المفتوحة امتداد للفضاء الكوني الطبيعي مع تغيير تعرضه حاجة الإنسان المرتبطة**

[1] – حسن بحراوي:بنية الشكل الروائي(الفضاء– الزمان– الشخصية)، ص 79.

[2] – أحمد حفيظة: بنية الخطاب في الرواية الفلسطينية، ص 134.

بعصره.... فالبيت مسكنه يحميه من الطبيعة والمستشفى مكان العلاج والسجن قد يسلبه حريته، والمسجد فضاء لأداء العبادة"[1].

"هذه الفضاءات ينتقل بينها الإنسان ويشكلها حسب أفكاره، والشكل الهندسي الذي يرفه، ويناسب تطور عصره وينهض الفضاء المغلق كنقيض للفضاء المفتوح"[2]

الشريف حبيلة في تعريفه للمكان المغلق يبين أن الأماكن المغلقة هي الأماكن المحدودة والفضاء المغلق هو نقيض للفضاء المفتوح.

كما نجد "غاستون باشلار" قد أعطى للرواية نماذج من خلال كتابه "جماليات المكان يقول **"وضع هنري ميشو في داخلنا الخوف من الأماكن المنغلقة والخوف من الأماكن المفتوحة جنبا إلى جنب وهو قد هول الخط الفاصل بين الداخل والخارج وبفعله هذا من منطلق سايكولوجي حطم اليقينيات الكسولة للحدوس الهندية التي يسعى علماء النفس بواسطتها للتحكم بمكان ، وحتى مجازيا لا شيء له صلة بالألفة يمكن احتجازه داخل مكان مغلق"**[3].

إضافة إلى ذلك الأماكن المغلقة هي التي تحدها حدود من جوانبها الثلاثة على أقل تقدير بشرط أن تكون لها حدود سقفيه، إذ تجعل فيها منعزلا بعيدا عن الكل ليس عنده ارتباط وخصوصية بالخارج وهناك بعض الأماكن تفرض على الناس التواجد فيها لعدة أسباب منها الحاجة كالبيوت والمستشفيات والمصانع.[4]

---

[1] – الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، ص 204.

[2] – المرجع نفسه، ص 204.

[3] – غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط 2، 1984م، ص ص 197 .192

[4] – عبد الرحمان منيف: دلالة المكان في رواية مدن الملح، ص 39.

يمثل المكان المغلق غالبا الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير بالنسبة للمكان المفتوح: **"فقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة لأنها صعبة الولوج وقد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن صخب الحياة"**[1].

ومعناه أن الأمكنة المغلقة تكون ضيقة باعتبارها معزولة عن العالم الخارجي من جهة، وتمثل الملجأ الذي يأوي إليه نتيجة الظروف من جهة أخرى.

المكان المغلق هو مكان العيش والسكن الذي يؤوي الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أم بإرادة الآخرين، لهذا فهو المكان المؤطّر بالحدود الهندسية والجغرافية، ويبرز الصراع الدائم القائم بين المكان كعنصر فني وبين الإنسان الساكن فيه، ولا يتوقف هذا الصراع إلا أذا بدا التآلف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطن فيه"[2].

وتنقسم هذه الأماكن إلى قسمين رئيسيين عامة وخاصة: **"فالأماكن العامة يمكن أن يرتادها عامة الناس وتدخل ضمن نطاق هذه الأماكن، الدوائر الرسمية السجون والمستشفيات والملاهي والمعسكرات والمقاهي والحانات والفنادق والمساجد، أما الأماكن الخاصة فيكون التواجد فيها لأصحابها بشكل رئيسي وهي موجودة أساسا لهم"**[3].

يتبين لنا أن الأماكن العامة هي التي يتوجه إليها جميع الناس، فالظروف المعيشية هي التي تفرض علينا البقاء فيها، أما الأماكن الخاصة لا يحق للغير التواجد فيها تخص أصحابها وهي الأماكن التي ترتاح النفس البشرية من خلالها لتعيش بطمأنينة وسلام.

---

[1] – أوريدة عبود: المكان في القصة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، ص 59.

[2] – مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار– الدقل– المرفأ البعيد)، ص 44.

[3] – قصي جاسم أحمد الجبوري: المكان في روايات تحسين كرمياني، ص 96.

نستخلص من خلال ما ذكر أن الأماكن المغلقة هي التي تكون محدودة هندسيا تقيد حركة الإنسان وتجعل من فيها منعزلا وذا خصوصية في خارجها، وبواسطتها يمكن أن نكشف ما يدور داخلنا.

المطلب الثاني: وظيفة المكان.

إذا اتفقنا أن لكل مكون من مكونات الرواية وظيفة في بناء معمارها الفني، فإن المكان يلعب دورا كبيرا في النص الروائي ولذلك فالكاتب يوظفه بشكل فعال ليعلى من قيمة النص الأدبي ويمنحه أبعادا نفسية ورمزية شديدة العمق.

فالمكان في الرواية التقليدية كان مجرد خلفية تتحرك أمامها الشخصيات أو تقع فيها الأحداث ولا تلقى من الروائي اهتماما أو عناية وهو محض مكان هندسي، أما في الرواية الرومانيكية فيظهر المكان معبرا عن نفسية الشخصيات ومنسجما مع رؤيتها للكون والحياة وحاملا لبعض الأفكار، وهذا ما أكده **"حسن بحراوي"** في كتابه **بنية الشكل الروائي** في قوله: "يبدو المكان كما لو كان خزانا حقيقيا للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها طل طرق على الآخر..."[1].

أي أن العلاقة ما بين الإنسان والمكان علاقة تأثير وتأثر وهي بمثابة الوعاء الباطني للأفكار والمشاعر.

كما أنه مكمل لدور الزمن في تحديد دلالة الرواية بحيث يمكن القول أنه: "**يشكل المسار الذي يسلكه اتجاه السرد** (...) **فهو الذي يعطي للرواية تماسكها وانسجامها، يقرر الاتجاه الذي يأخذه السرد لتشيد خطابه ومن ثم يصبح التنظيم** (...) **للحدث هو إحدى المهام الرئيسية للمكان**"[2]

بمعنى أن الإبداع السردي وتشييد جمالياته فهو يؤطر للمادة الحكائية وينظم الأحداث.

---

[1] – حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء–الزمان–الشخصية)، ص 31.

[2] – المرجع نفسه، ص 33.

إضافة إلى الوظيفة السابقة، بوصف المكان مكانا لوقوع الأحداث إلى فضاء ليتسع لبنية الرواية، **ففي هذه المرة يتجاوز" حسن بحراوي "هذه الوظيفة بقوله: "وهو ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة، لأنه يعاش على عدة مستويات من طرف الراوي، بوصفه كائنا مشخصا، وتخيليا أساسيا، ومن خلال اللغة، ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان، وفي المقام الأخير من طرف القارئ، الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقة"**[1] .

يتضح لنا هنا أن المكان هو الذي يؤثر في الرواية من خلال زاوية الإنسان الذي ينظر إليه.

ويؤكد "**بحراوي**" في موضع آخر: "**إن المكان الروائي لا يتشكل إلا باختراق الأبطال له، وليس هناك أي مكان محدد مسبقا، وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال ومن المميزات التي تخصهم**"[2]

نفهم من هذا أن المكان لا يمكن أن يتشكل إلا بواسطة الأحداث التي تقوم بها الشخصيات الموجودة في الرواية.

بالإضافة إلى كون المكان يلعب دورا كبيرا بإعتباره من المحفزات السردية من جهة فهو أيضا من المحفزات الثقافية من جهة ثانية، وهذا ما أكده "**ياسين النصير**" في قوله: "**المكان دون سواه يحمل تاريخ البشرية والحيوان معا، علامات ولقى وآثار، ورسومات وكتابات، وباقي عظام البشرية والمدونات**"[3]

يتبين لنا أن المكان هنا هو الذي يجسد هوية تاريخية ووطنية، فهو الذي يرسم تاريخ البشرية في ذهن المتلقي.

---

[1] – حسن بحراوي:بنية الشكل الروائي(الفضاء–الزمان–الشخصية)، ص32.

[2] – المرجع نفسه،ص29.

[3] – ياسين النصير: المكان والرواية، ص 161.

كما يؤكد "**ياسين النصير**" أن المكان هو مسرح الأحداث في قوله "**المكان عندي مكان واضح يتلخص بأنه الكيان الاجتماعي الذي يحوي خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه** (...) **فهو القرطاس المرئي الذي سجل الإنسان عليه ثقافته** (...) **وكل ما وصل إليه من ماضيه ليورثه إلى المستقبل**"[1].

فالمكان هنا هو الذي يربط الإنسان بالمجتمع الذي يعيش فيه.

باعتبار المكان هو أول من يساهم في تحديد نوع القصة وتحديد النوع، فالمكان يمكن أن يوظف كغايات مختلفة، فإن هذه الوظائف تساهم في:

1- إبراز طابع القصة الرئيسي: أي يبين نوعه وطابعه.

2- الإيهام بالواقع: استخدام أماكن موجودة في الحقيقة.

3- إضفاء طابع نفسي على القصة: فالمكان هو الذي يغير نفسية الشخصيات مثلا: الأماكن المهجورة توحي إلى الخوف.

4- إضفاء طابع رمزي على القصة: مثلا المكان يرمز إلى شيء معين.

5- إضفاء طابع إيديولوجي: ويقصد به هنا الأماكن التي تخدم المواقف في الرواية.

كما يمكن تصنيف وظائف المكان إلى وظائف داخلية وأخرى خارجية.

1- الوظائف الداخلية: والمتمثلة في:

أ- الوظيفة الأنثربولوجية: وتكون من خلال التأثر والتأثير بين المكان والشخصيات (علم المكان).

ب- الوظيفة التواصلية البليغة: وتظهر من خلال الرموز، والإشارات والذي يجعل من المكان وسيلة اتصال تحقق العملية التبليغية.

[1] - ياسين النصير: المكان والرواية، ص 70.

ج– الوظيفة الجمالية التزينية: وتظهر من خلال وصف المكان المتمثلة في الطابع التشكيلي للمكان.

2– الوظائف الخارجية: ونقصد بها جملة الوظائف الخارجية عن عالم القصة الداخلي والمتمثلة في:

أ–– الوظيفة التعليمية: من خلال التعريف بالأماكن التاريخية، المدن، القصور، وما يكون المكان وما يتصل به مجرد تحقيق هذه الوظيفة.

ب–الوظيفة المعرفية: وتظهر من خلال إظهار المستويات والأبعاد كالأبعاد الاجتماعية والثقافية، وهي معطيات لا يتطلبها عالم القصة في الحقيقة.

ج– الوظيفة النقدية: وتظهر من خلال تقويم آراء ومواقف مختلفة وبصيغة عديدة كالغضب.....

وبناءا على كل ما سبق ذكره نستنتج أن المكان عنصر من العناصر الفعالة في بناء الرواية وتطورها، وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه، وفي علاقات مع بعضها البعض إذ نجد المكان في وظيفته الذاخلية يلعب دورا رئيسيا في بناء القصة من خلال علاقة التأثير والتأثر. أما فيما يخص الوظائف الخارجية خارج نطاق القصة الداخلي وهذا ما نجده في القصص التاريخية.

المبحث الثالث: مفهوم الفضاء وعلاقته بالمكان.

المطلب الأول: مفهوم الفضاء.

شغل مفهوم الفضاء حيزا كبيرا من تفكير بعض الفلاسفة والمفكرين عبر التاريخ وذلك كون الفضاء من المفاهيم الأساسية في الدراسات النقدية الحديثة لكن تعريفه يبقى غامضا نوعا ما فلكل ناقد تعريف خاص به ونظرته إليه حيث نجد **الناقد "حسن نجمي" في كتابه: "شعرية الفضاء" بأنه "فضاء تتنظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال، ومعيار لقياس الوعي والعلائق والترتيبات الوجودية والاجتماعية والثقافية ومن ثم تلك التقاطبات الفضائية التي انتبهت إليها الدراسات الأنثربولوجية في وعي وسلوك الأفراد والمجتمعات"**[1].

فالفضاء حسب حسن نجمي هو الذي ينظم الحياة الاجتماعية والكائنات الحية فهو حسبه مرتبط بالدراسات الأنثربولوجية.

كما يعرفه في موضع آخر "**هو المادة الجوهرية لكتابة الرواية، ولكل كتابة أدبية**"[2] ؛ أي أن الفضاء هو الأساس الذي يبني عليه العمل الأدبي عامة والرواية بشكل خاص.

في حين يعرفه أحمد مرشد في كتابه "**البنية والدلالة" "الفضاء هو مجموعة الأماكن الروائية التي يتم بناءها في النص الروائي**"[3].

يتبين لنا هنا أن الفضاء بمثابة المكان الذي تبنى عليها الرواية.

---

[1] – حسن نجمي: شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي، الدار البيضاء، دب ،ط1، 1422هـ/ 2001م، ص 05.

[2] – المرجع نفسه، ص 59.

[3] –أحمد مرشد: البنيةو الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط 1، 1426هـ/ 2005م، ص 130.

ويقول أيضا: **"أنه تخطيب لسلسلة من الأماكن سندت إليها مجموعة من المواصفات كي تتحول إلى الفضاء"**[1] .

نجد هنا أنه أطلق عليه اسم فضاء الرواية.

في حين نجد أيضا الناقد **حسن بحرواي"** في كتابه" **بنية الشكل الروائي** يرى **"أن الفضاء مثل مكونات الأخرى للسرد لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي (Espace Verbal)**بامتياز **ويختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح أي كل الأماكن التي يدركها بالبصر أو السمع أنه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب"**[2] .

نلاحظ هنا أن الفضاء الروائي لا يختلف عن مكونات السرد الأخرى، فهو الحافز الأساسي للتعبير عن الفضاء الروائي، وبهذا يتميز عن الفضاءات الأخرى.

وأيضا فهو يرى أن الفضاء الروائي يقيم صلات وثيقة مع باقي المكونات الحكائية في النص وتأتي في مقدمتها علاقته بالحدث الروائي والشخصيات الروائية، كما أنه في العمق ليس سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث الروائي.[3]

وقد عرفه **"حمزة قريرة"** في كتابه **"بنية الفضاء في الخطاب الروائي" "تمثل بنية الفضاء في الرواية الامتداد الذي يشمل مختلف مكونات الرواية ومظاهرها، حيث ينطلق المكان ويسبح في حدود الزمن ومتاهاته، وتتحرك الشخصيات داخل هذا الامتداد والذي يشمل تلك المكونات والمظاهر ويحتويها مهما**

---

[1] – أحمد مرشد:البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ص 61.

[2] – حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء– الزمن– الشخصية)، ص 27.

[3] – المرجع نفسه، ص 28.

كانت طبيعتها، لغوية، أو غير لغوية كنوع الخط وطريقة الكتابة والرسومات، بهذا تمثل بنية الفضاء قلب الرواية وهيكلها الذي يدور فيه ومعه كل شيء فيها"[1].

يتضح لنا هنا أن الفضاء هو المكون الأساسي للرواية الذي ينطلق منه المكان، فهو اللّب الذي تقوم عليه الرواية.

الفضاء يلعب دورا حيويا على مستوى الفهم والتفسير والقراءة النقدية وهو لكي يلعب هذا الدور يأخذ وضعا اعتباريا فطريا ويتعين تكوينه وتحديده كمفهوم نقدي فالفضاء يتأسس في العمق التأويلي وبذلك فهو أداة للمعرفة، يوصفه شيئا ذهنيا ومكانا ذهنيا [2] .

بالإضافة إلى هؤلاء النقاد نجد **"غاستون باشلار"** يعرف الفضاء بأنه **"كل الأمكنة المأهولة حقا، تحمل جوهر فكرة البيت.... وأن الخيال يعمل في هذا الاتجاه، أينما لقي الإنسان مكانا يحمل أقل صفات المأوى"**[3] .

فغاستون باشلار أشار إلى الفضاء بأنه البيت، فهو هنا ميز بين نوعين من الأمكنة أمكنة أليفة وأخرى عدوانية فالأماكن الأليفة عنده فهي الصلة التي تنشأ بين الأمكنة المتخيلة والشخصيات الروائية.

وقد أشار إلى ذلك في موضع آخر **"إن كل أماكن لحظات عزلتنا الماضية، والأماكن التي عانينا فيها من الوحدة والتي استمتعا بها، ورغبتنا فيها، وتألفنا مع الوحدة، تضل راسخة في داخلنا لأننا نرغب في أن تبقى كذلك"**[4].

---

[1] – حمزة قريرة: بنية الفضاء في الخطاب الروائي، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، د ط، 2020م، ص 28.

[2] –حسن نجمي: شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، ص 53.

[3] – غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، ص 36.

[4] – المرجع نفسه، ص 40.

يتضح لنا هنا أنه عبارة عن ذكريات ،فهو بالنسبة له تجربة لامثيل لها.

ولعل الملحوظة المهمة التي نراها في هذا الصدد مفادها أن **"غالب هلسا" "ارتكب خطأ فادحا، حين أقوم على ترجمة عنوان كتاب « La Poitique DE L' espace) شعرية الفضاء.**

لغاستون **باشلار (Gaston Bachelard) إلى جماليات المكان، وهي الجناية التي شوهت خصوصية هذين المصطلحين وتركت ظلالها على دراستنا فيما يعد وقد يستغرب كثر وضع هذا العنوان والحال أن المقابل العربي لمصطلح (L' espace)** [1]**هو** الفضاء، كما أن المقابل العربي (Leliu) هو "المكان " ومن يقارن بين عنواني الكتاب سيخرج بنتيجة واحدة مفادها أن قرن "هلسا" بين مصطلحي الفضاء، والمكان واعتبارهما وفق وجهة نظر سيان ويشيران إلى مفهومين متطابقين ولربما كان لقصر باع النقد العربي ذاته اتجاه مقولة الفضاء الدور الأكبر في إغفال هذا الخلط وعدم تناول الأفلام النقدية له.

نفهم من هذا أن هلسا قد جعل من الفضاء هو المكان ويشيران إلى نفس المصطلح.

نستنتج من خلال كل ما سبق ذكره بأن مصطلح الفضاء له أهمية كبيرة في بناء الرواية، فهو من العناصر الأساسية في الرواية، وهو المتلقي العام لكل العناصر السردية كما أنه هو من يحتوي أو الجامع لكل الموجودات بصفة عامة (الحيوان، الإنسان، النبات)، إذ لا يمكن تصور عمل إبداعي دون فضاء.

المطلب الثاني: العلاقة بين الفضاء والمكان.

لقد تعددت المفاهيم والمصطلحات إلى ضبط المصطلحين **"الفضاء" "المكان"** وتحديد العلاقة بينهما، وقد تضاربت الآراء حول هذا الموضوع فمنهم من يرى تطابق المصطلحين بأنهما شيء واحد، في حين هناك من

[1] – نصيرة زوزو: إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر،" مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية"، العدد 6، السادس، بسكرة، جانفي 2010م، ص ص 5، 6.

يذهب إلى الفصل بينهما، ومن خلال هذا المنطلق يمكننا الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين هذين المصطلحين:

أ- نقاط الاختلاف:

من النقاد الذين تطرقوا إلى مصطلحي المكان والفضاء نجد الناقد "حميد لحميداني" يقول: "إن مجموع هذه الأمكنة، هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه اسم: فضاء الرواية، لأن الفضاء أشمل، وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء، وما دامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية"[1]

من خلال هذا القول يتبين بأن "حميد لحميداني" اعتبر الفضاء أشمل وأوسع من المكان لأنه يشير إلى المسرح الروائي بأكمله، والمكان يمثل جزءا من الفضاء الروائي.

إن الحديث عن مكان نحدد في الرواية يفترض دائما توقف زمنيا لسيرورة الحدث، لهذا يلتقي وصف المكان مع الانقطاع الزمني، في حين أن الفضاء يفترض دائما تصور الحركة داخله، أي يفترض الاستمرارية الزمنية[2] .

ولعل التمييز بين المكان والفضاء الذي أثاره **"لحميداني"** يستند إلى طبيعة المكونات في العمل الأدبي، إذ يشير إلى تلك العناصر للعمل الروائي وما تسمى بالفضاء الروائي:" **الرواية تضع عالمها الخاص وإذ تستفيد حتما من الواقع فإنها قابلة لأن تجعل كل الأمكنة مادة لبناء فضاءها الخاص"**[3]**؛ أي من خلال الأمكنة يمكن بناء الفضاء الخاص داخل العمل الروائي.**

---

[1] – حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 63.

[2] – المرجع نفسه، ص 63.

[3] – المرجع نفسه، ص 72.

وحول هذا التداخل يذهب الباحث **"حسن بحراوي" إلى ضرورة دراسة المكان باعتباره عنصرا حكائيا إذ يرى أن الفضاء هو مكون أساسي وهو يتحدث عن أماكن الإقامة الاختيارية، يشير إلى مدى أهمية فضاء البيت باعتباره مركز المعاني، كما يستعمل شعرية المكان وأثرها في تشكيل الفضاء: "فهي تسلم بتأثير الوجود الإنساني على تشكيل الفضاء الروائي وتلح خصوصا على أهمية رؤية الإنسان للمكان الذي يؤهله"**[1]؛ بمعنى أن الفضاء هو الأساس في بناء الرواية.

إن تحليل الفضاء الروائي هو الذي يمكن من الإلمام بدلالة النص الشامل وهذا التحليل ليس بمقدوره تفسير جميع أسرار النص أو الكشف عن مظاهره المختلفة بقدر اهتمامه بدراسة المبادئ البنيوية التي تنظم اقتصاد المكان في الرواية من خلال المستويات التي تكون أساس تشكيل التنظيم الحكائي للنص.[2]

كما يشير الناقد الروائي الجزائري **"عبد الملك مرتاض"** في كتابه **"في نظرية الرواية"** يقول: **"إن مصطلح الفضاء من منظورنا على الأقل، قاصر بالقياس إلى الحيز لأن الفضاء من الضروري أن يكون معناه جريا في الخواء والفراغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى التنوء والوزن والثقل والحجم والشكل... على حين أن المكان نريد أن نقفه في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده"**[3].

من خلال هذا يتبين لنا بأن **"عبد الملك مرتاض"** تعدت عن قيمة التمييز بين المكان والحيز والفضاء وجعل الفضاء معادلا للخواء والفراغ وربط الحيز بالوزن والحجم، وربط المكان بالحيز الجغرافي أي أن هاته المفاهيم مختلفة الدلالة فيما بينها.

---

[1] – حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء– الزمن– الشخصية)، مركز الثقافي العربي، المغرب، ط 2، 2009، ص 45.

[2] المرجع نفسه، ص ص34، 33.

[3] – عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)،عالم المعرفة ،الكويت،دط،1990م، ص 121.

بالإضافة إلى هؤلاء النقاد نجد الناقدة "**سيزا قاسم**" في كتابها "**بناء الرواية**" تشير إلى بعض النقاد الغربيين المعاصرين الذين حاولوا التفرقة بين مستويات مختلفة من المكان، فقد تداولت مفاهيم ودراسات تأرجح استعمالها المصطلح بين: **المكان– الفراغ– الحيز** فقد جاء في اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية كما يوضحه الجدول التالي:

الإنجليزية	الفرنسية
Space/ place **Locjtion**	**Espace** **Lieu**

نجد سيزا قاسم هنا قد وضعت لكل لغة مرادفا لمصطلح الفضاء.[1]

كذلك نجد النقاد المحدثين، يستخدمون ما يقابل المكان، **الفراغ، الموقع**، للتعبير عن مستويين مختلفين للبعد المكاني: أحدهما محدد ويتركز فيه مكان وقوع الحدث والآخر أكثر اتساعا ويعبر عن الفراغ المتسع الذي تتكشف فيه أحداث الرواية.[2]

كما يبين "**سعيد يقطين**" الفرق الموجود بينهما في قوله: "**إن الفضاء أعم من المكان، لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي، وإن كان أساسيا، إنه يسمح لنا بالبحث في فضاءات تتعدى المحدد والمجسد، لمعانقة التخييلي والذهني ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء**".[3]

بمعنى أن الفضاء هو الذي يحدد المكان والموقع الجغرافي.

---

[1] سيزا قاسم: بناء الرواية، (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، ص ص 105، 106.

[2] – المرجع نفسه، ص 106.

[3] – سعيد يقطين: قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 1418هـ، 1997م، ص 240.

في حين نجد الكاتبة "**فريدة إبراهيم بن موسى**" في كتابها "**زمن المحنة في سرد الكتابة الجزائرية**" تقول "**لابد من التمييز بين الفضاء والمكان لما من صلة وثيقة، وإن اختلفا في المفاهيم، فالفضاء أوسع من معنى المكان**".[1]

يتبين لنا هنا أن الفضاء هو الأكثر اتساعا من المكان.

يتضح لنا مما سبق ذكره أن الفضاء والمكان تحكمهما علاقة الجزء بالكل ذلك أن الفضاء أوسع من المكان فهو شمله ويحتويه.

ب- **نقاط التشابه:**

بالرغم من الإختلاف الذي قدّمه النقاد لمصطلحين الفضاء والمكان، إلا أنه لا يمكن نفي وجود علاقة تداخل وتكامل فيما بينهما.

يعتبر المكان هو مكون الفضاء، والفضاء هو مجموع الأمكنة التي ترد في الرواية فغالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة ،**فالمقهى والبيت والشارع**... كل واحد منها يعتبر مكانا محددا، إنما جزر في الفضاء أو أكوان مغزى منفصلة، وجميع تلك الأمكنة يلفها عالم واسع يشكل فضاء الرواية.[2]

إضافة إلى هذا التكامل نجد "**سمر روحي الفصيل**": "**الفضاء الروائي والمكان الروائي بينهما صلة وثيقة، وإن كان مفهوما مختلفا، فالمكان الروائي حين يطلق من أي قيد يدل على المكان داخل الرواية سواء كان مكانا واحدا أم أمكنة عدة**".[3]

---

[1] - فريدة إبراهيم بن موسى: زمن المنحة في سرد الكاتبة الجزائرية (دراسة نقدية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، د ب، ط1، 1433هـ/ 2012م، ص 113.

[2] - المرجع نفسه، ص 113.

[3] - سمر روحي الفيصل: الرواية العربية، البناء والرؤيا (مقاربات نقدية)، منشورات إتحاد كتاب العرب،دمشق، 2003م، ص 71.

إن الفضاء الروائي بهذا المعنى يوحد العناصر الروائية، إذ تربطه صلة وثيقة مع المكان لتكون بنية متماسكة مشكلة بذلك الفضاء الروائي إذ لا يمكن الفصل بينهما ويصبح المكان جزءا من الفضاء.

يعد المكان مكونا من مكونات الفضاء، إذ أن الفضاء بحاجة على الدوام للمكان ويتسع الفضاء ليشمل العلاقات المكانية أو العلاقات بين الأمكنة والشخصيات والأحداث فالفضاء ليس فقط المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية، ولكن أيضا أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها.[1]

وفي هذا الصدد نجد الناقدة "**سيزا قاسم" تعود إلى وصف المكان وتضفي عليه مفهوم الفضاء بقولها: "إن الروائي عندما يبدأ في بناء عالمه الخاص الذي سوف يضع في إطاره الشخصيات ثم يسقط عليه الزمن، يضع عالما مكون من الكلمات وهذه الكلمات تشكل عالما خاصا خياليا قد يشبه عالم الواقع وقد يختلف عنه، وإذا شابه فهذا الشبه شبه خاص يخضع لخصائص الكلمة التصويرية.**"[2] ؛أي أن الناقدة تتحدث هنا حول المكان الروائي إذ تربطه بالفضاء وتعده عالما خياليا، الذي قد يكون شبيها بعالم الواقع أو مختلفا عنه.

بناءا على كل ما سبق ومن خلال التمييز بين مصطلحي الفضاء والمكان يتضح لنا أن الفضاء أوسع من المكان فهو شامل لجميع الأمكنة التي تجري فيها أحداث الرواية، أما المكان فهو المكون والمشكل للفضاء بإعتباره عنصرا من العناصر الأساسية المدعمة له، في حين يؤكد أغلب الدارسين على وجود صلة وثيقة بين هاذين المصطلحين ولا يمكن الفصل بينهما لأنهما يحملان نفس الدلالة والتسميات.

---

[1] – أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة)، ص 41.

[2] – سيزا قاسم: بناء الرواية، ص 101.

تبقى العلاقة بين المكان والفضاء محل جدال ونقاش بين النقاد سواء في الدراسات النقدية الغربية أو العربية.

الفصل الثاني: صورة المكان في رواية السيرة الطائرة

المبحث الأول: في تعريف الروائي والرواية

المطلب الأول: تعريف الروائي

المطلب الثاني: تعريف الرواية

المبحث الثاني: وصف أمكنة الرواية

المطلب الأول: صورة الأماكن العربية

المطلب الثاني: صورة الأماكن الغربية.

المبحث الأول: في تعريف الروائي والرواية.

المطلب الأول: تعريف الروائي.

إبراهيم نصر الله

إبراهيم نصر الله: مواليد عمّان من أبوين فلسطينيين اقتلعا من أرضهما عام 1948.

*صدر له شعرا (الطبعات الأولى)

الخيول على مشارف المدينة، 1980، المطر في الداخل، 1982، الحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق، 1984، أناشيد الصباح، 1984، الفتى النهر والجنرال، 1987، عواصف القلب، 1989، حطب أخضر، 1991، فضيحة الثعلب، 1993، الأعمال الشعرية- مجلد يضم تسعة دواوين، 1994، شرفات الخريف، 1996، كتاب الموت والموتى، 1997، بسم الأم والإبن، 1999، مرايا الملائكة، 2001، حجر الناي، 2007، لو أنني كنت ما يسترو 2008، عودة الياسمين إلى أهله سالما مختارات، 2011، أحوال الجنرال، مختارات، 2011.

الروايات: (الطبعات الأولى)

براري الحّمى، 1985، الأمواج البرية، 1988، عَو، 1990، مجرد 2 فقط/ 1992، حارس المدينة الضائعة، 1998.

*الملهات الفلسطينية (الطبعات الأولى): (كل رواية مستقلة تماما عن الأخرى).

طيور الحذر، 1996، طفل الممحاة، 2000، رايتون الشوارع، 2002، أعراس آمنة، تحت شمس الضحى، 2004.

زمن الخيول البيضاء، 2007، اللائحة القصيرة لجائزة البوكير العربية، 2009، قناديل ملك الجليل، 2012.

*الشرفات: (الطبعات الأولى): (كل رواية مستقلة عن الأخرى)

شرفة الهذيان، 2005، شرفة رجل الثلج، 2009، شرفة العار 2010.

كتب أخرى (الطبعات الأولى)

هزائم المنتصرين، السينما بين حرية الإبداع ومنطق السوق 2000، ديواني، شعر أحمد حلمي عبد الباقي، إعداد وتقديم 2002، السيرة الطائرة: أقل من عدو، أكثر من صديق، 2006، صور الوجود السينما تتأمل 2008.

*ترجم عدد من أعماله الروائية إلى الإنجليزية، الإيطالية، الدنماركية، التركية، **ونشرت مختارات من قصائده** بالإنجليزية الإيطالية، الفرنسية، الألمانية والإسبانية...

***أقام 4 معارض فوتوغرافية وشارك في معرض المشترك (كتّاب يرسمون) لثلاثة كتاب عمان 1993.**

*نال سبع جوائز عن أعماله الشعرية والروائية منها: **جائزة عرار للشعر، 1991، جائزة تيسير سيول للرواية، 1994.**

جائزة سلطان العويس للشعر العربي 1997.[1]

المطلب الثاني: تعريف الرواية.

قبل الدخول في ثنايا أي عمل أدبي، لابد من أخذ لمحة بصرية لواجهة غلاف هذا العمل أولا، هذا الأخير الذي يعد أول وأول واجهة يصطدم بها القارئ ولهذا سنحاول أن نقوم بقراءة بصرية لأهم مكونات هذا الفضاء الخارجي وأهم المعلومات التي حظت عليه.

صمم **"إبراهيم نصر الله"** واجهة روايته **"السيرة الطائرة"** على غلاف أزرق؛ حيث مثل هذا اللون السماء بزرقته الهائلة، تنتشر في هذا الفضاء مجموعة من الطيور بلون أبيض، يقابلها في الجهة الأخرى صورة الكاتب **طفلا في المنتصف مع عائلته.**

أما عنوان الرواية **"السيرة الطائرة"** فقد كتب وسط الواجهة بخط **أحمر** سميك، وتحته عنوان فرعي **"أقل من عدو..... أكثر من صديق"** بخط رقيق وفوق العنوان نجد اسم الكاتب **"إبراهيم نصر الله"** كتب بخط متوسط ولون رمادي.

سبب تسمية العنوان: سميت **"بالسيرة الطائرة"** لأن أغلب الرحلات التي قام بها الروائي من بلد إلى بلد آخر حكيت على متن الطائرة، إذ نلمس في بداية حديثه في الرواية وصف الأجواء التي كانت في الطائرة وتعجبه من عدم سماع كلام باللغة العربية، فكل الذين كانوا معه يتحدثون باللغة الأجنبية رغم أنهم عرب، ثم ينتقل بنا إلى

[1] – إبراهيم نصر الله: السيرة الطائرة (أقل من عدو أكثر من صديق)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط3، 1433هـ/ 2012، ص 297.

وصف **إقلاع طائرة البوينغ العملاقة** ووجود مضيفات ناعمات يوزعن الكتب على المسافرين، ويسألن المسافر عن الكتاب الذي يود قراءته، وحين ينتهي منه أو تنتهي الرحلة يسلمه للمضيفة ثانية فتعيده للمكتبة.

كما ذكر الكاتب سيرة سفره وهو في مدينة أخرى وخص بوصفه المشاهد التي يراها من نافذة الطائرة فالحياة تتفتح، والبحيرات تنهض من نومها، والأنهار تجري، والغابات تتنفس من جديد.

من خلال المحطات التي ذكرت نفهم بأن السارد يلمح إلى أن مسيرته الفنية والحياتية إنبنت من خلال التجوال والترحال ومعرفة الآخر، فكل مكان يختزن تجارب أصحابه وكل شخص نلتقيه هو فكرة أو مجموعة أفكار في ثوب إنسان وهذا تأكيد على ضرورة الإختلاط بالآخرين لبناء تجربتنا الذاتية.

في حين نجد تحت **عنوان "السيرة الطائرة"** عنوانا صغيرا **"أقل من عدو،أكثر من صديق"** والتي تدل هي الأخرى على إلتقاء الكاتب بالأصدقاء أكثر من الأعداء لأن أغلب المدن رحبت به وكانت لقاءاته مع أكبر الأدباء المشهورين في العالم وهذا ما ساعده في كتابته الإبداعية عن القضية الفلسطينية.

أما بالنسبة للقائه مع الأعداء فقد ذكر لنا رحلته إلى نابولي ومساعدته للعجوز، إذ دار حوار بينهما عن البلد الذي ينتميان إليه، فهي من **الأراضي الفلسطينية المحتلة وهو من** هناك، وابن العجوز ربما يكون هو السبب في تدمير بيته في فلسطين، فهو يبقى عدوه وعدو كل أبناء فلسطين فعلى الرغم من ذلك عند نزوله من القطار قام بمساعدة العجوز مرة أخرى واكتشف بأنه **"أقل من عدو"**.

يتبين لنا بأن العنوان هو الذي يساهم في توضيح دلالات النص واستكشاف معانيه الظاهرة.

كما نجد في القسم الأعلى من الواجهة اسم دار النشر وهي **"الدار العربية للعلوم ناشرون"** إلى جانبها رمز مميز للدار وكل هذا باللون **الأصفر**.

وقد صدرت رواية "**السيرة الطائرة**" في **طبعتها الثالثة سنة 1433هـ – 2012م** عن منشورات الدار العربية للعلوم بيروت لبنان تحتوي على **297** صفحة من الحجم المتوسط مقسمة في شكل فصل السيرة بلغ عددها (17) فصلا معنونة بالترتيب كالتالي:

***عنّا وعن روح العالم**

***الأشجار التي تتركها وراءك لن تتعبك**

***قاعة الصمت**

***الضياع العذب.**

***حانة الغراب.**

***أصدقاء طائرون.**

***دمعة طائرة.**

***كيف أنجبت القصيدة رواية.**

***عماء مدبَّر.**

***حديث طائر مع سوينكا.**

***ليلة (الطَّائف)**

***وصول غسان.**

***مفاجآت.**

***عن (آخر هو أنتَ).**

***الطريق إلى بوميليانو داركو؟؟**

***أقل من عدو؟؟**

***عن نهاية من نوع آخر.**

الكتابة المطبعية بقيت على حجم واحد طيلة قراءتنا للرواية ولم تتغير هذه الكتابة حتى نهايتها.

تسرد أحداث رواية **"السيرة الطائرة"** حكاية كاتب تبدأ في مخيم للاجئين الفلسطينيين تحت أقصى الظروف، لينطلق بعد ذلك نحو قارات العالم معيدا بالكتابة والسفر، صياغة أحلامه وهو يحمل إلى كل مكان يمضي إليه أحلام شعبه.

تتمحور أحداث الرواية عموما حول تنقل الروائي من بلد إلى آخر وحديثه عن القضية الفلسطينية في كل مكان يذهب إليه وذلك للتعبير عن آلام وآمال وطنه ومسقط رأسه، وهذا ما جعل رحلاته متنوعة تارة في المجتمع العربي وتارة أخرى في المجتمع الغربي.

بداية حديثه عن السفر كانت في مدينة **مدريد** ولقائه أهم شعراء العرب والعالميين فيبدأ، بالتحول في شوارع المدينة ليتعرف عليها بنفسه كي يحسها فمذاق المدن بالنسبة له كمذاق الحب.

في كل مدينة جديدة يكتشف شيئا جديدا في برلين اكتشف الخريف، وفي مدريد اكتشف صيف الشجر في كل شارع هناك أشجار مختلفة تجذبه بسهولة ليتمتع بمنظرها ،كما يصف لنا تجوله في بعض المدن بحرية سواء

في القطار أو الشارع أو المقهى له حرية الدخول والخروج، في حين نجد مدنا أخرى تقيده بمجرد إختلافه عنهم فهو ذو الملامح العربية.

ثم ينتقل بنا الكاتب في زيارته إلى برلين والطائرة والمقعد في محطة القطارات وتحول البشر إلى عُمي أم إلى لامرئيين.

ويعود بنا إلى وطنه عمان وسوء معاملته هناك الحكومات العربية لو توزع معها الابتسامات حين تستقبل القادمين والمغادرين على بوابات هذه الأوطان.

كانت رحلة كوريا أشد اكتئابا من أي رحلة قام بها، بالرغم من انه كان أشد سعادة هناك.

ثم ينطلق الكاتب في رحلته من مكان إلى مكان آخر بوصف تلك الأماكن وصفا دقيقا بداية "**بكلومبيا**" ومدى إعجابه بها وبسكانها ومناظرها الخلابة التي لا تزال راسخة في ذهنه، وبعدها ينتقل إلى "**طرابلس**" والمعاناة التي واجهته هناك، وعن سوء المعاملة وعدم الاهتمام بهم بالرغم من أنهم مدعون بصفة رسمية، ومدى **تحسره على الواقع اللإنساني**.

ثم زار الكاتب **الصحراء الغربية** وكتب أول قصيدة له باللغة العربية الفصحى وتحدثه عنها كأنها منفى لا حياة فيها، وشبهها بالقبر الموحش الذي إذا ذهب إليه الإنسان لا يعود.

وبعد **الصحراء الغربية** تكون وجهته هذه المرة إلى **دمشق** وتدهور حالته النفسية هناك بسبب المشاكل التي واجهها.

ثم يتحدث عن رحلته من مدريد إلى مطار برلين وكيف فقد رحلته وحضوره في أمسية وسط شارع عام بحضور جمهور كبير وإلقاء أحد الشعراء العرب قصائد جميلة تستقبلها الأذهان بتصفيق حار.

بعد زيارته لعمان التقى بمديرة إحدى المدارس الخاصة في دار الفنون وذلك للمشاركة في مهرجان مسرحي ألقي أمسية هناك. ويصل بنا إلى **نابولي** لحضور نشاطات واسعة نظمتها البلدية تضامنا مع القضية الفلسطينية بعد قيام الجيش الإسرائيلي باحتياج الأراضي الفلسطينية عام 2002م، أتيح الكاتب حضور ندوة تحدث فيها أكثر من سبعة أشخاص عن زيارة فلسطين المحتلة، كان هناك أعضاء في البرلمان، ممثلوا أحزاب صحفيون كبار ومتعاملون ينقلب الدمع من أعينهم لفرط ما شاهدوه، فلم تكن اللغة الإيطالية حاجزا بين الكاتب وبين أولئك السبعة لأن أحاسيسهم كانت تصله بقوة قبل أن تترجم أعماله.

ثم يسرد لنا قراءته لأحدى الصحف بعنوان (**عائلة شهيد (جنين) تتبرع بأعضاء من جسم ابنها لمرضى إسرائيليين**) تتمحور أحداث الحكاية حول خروج أحميد الخطيب "صبيحة أيام عيد الفطر ليلعب مع بقية الأطفال، إذ تلقى رصاصة في بطنه وأخرى في رأسه من بنادق جيش الاحتلال الإسرائيلي، ولأن أحمد يحمل اسم عازف العود، استحضر الكاتب في ذهنه الصورة الشهيرة للطفل الذي يقذف الحجر باتجاه الدبابات الإسرائيلية.

السارد هنا لا يضع اللوم على والد أحمد لأنه تبرع بأعضاء ابنه، فهو عاش بدوره تحت وطأة الإســـــتدمار فالجيش الإسرائيلي قتل خلال عام ونصف من الانتفاضة الثانية (2647) فلسطينيا، ودمر (2003) بيتا للفلسطينيين، وهدموا (4200) مسجدا ومقبرة قبل عام 48، كما اعتقل (850) ألف فلسطيني منذ احتلال الضفة وغزة جميع هاته الأحداث كان يعاني منها والد أحمد بدوره.

من خلال الأوضاع المزرية نجد من خلا الأوضاع المزرية تأثر الروائي بفلسطين وخدمة قضية وطنه الأم في إبداعاته الأدبية والنثرية على الرغم من أنه ليس موجودا فيها لكن أتيحت له فرصة زيارة بلده عام 1987 من خلال تصريح يستطيع الدخول به فصور لنا الأماكن التي زارها خاصة **القدس ونابلس ورام الله** ،تجول في شوارعها وبيوتها ومساجدها وإلتقاءه مع الأصدقاء، والاتجاه نحو (بيت لحم) عند عمه لسترجاع أهم الذكريات، فالكاتب لا يريد مغادرة فلسطين.

ثم تكون وجهته إلى (**كفره كنّة**) وتحضير لأمسية غنائية هناك مع الشباب؛ إذ قدم لهم أول قصيدة وآخرها يلقيها على أسماعهم في وطنه المحاط بالأسلاك الشائكة والبوابات الإلكترونية من طرف الجيش الإسرائيلي.

وكانت رحلة الكاتب إلى إيرلندا من أجمل الرحلات التي أثرت في نفسيته إذ شعر بالهدوء والسكينة خاصة في حدائقها وشوارعها الباهرة، وهذا ما أحدث رغبة في التجول أكثر في مدنها.

نجد رحلة وسفر الكاتب الأخيرة نحو نيويورك، حيث أقيمت أمسيات نادرة في واشنطن.

المبحث الثاني:وصف أمكنة الرواية:

تتخذ الرواية في عمومها أماكن منفتحة على الطبيعة تؤطر بها الأحداث مكانيا وتخضع هذه الأماكن لاختلاف يفرضه الزمن المتحكم فيها، إذ توجد صلة قوية بين المبدع والمكان ولكل واحد طريقته الخاصة في توظيف المكان، فمنهم من جعل الشارع مكانا لإبراز انفعالاتهم، ومنهم أيضا من جعل الطائرة موقعا لإظهار الأحداث معبرا عن حالاته النفسية وأحاسيسه، انطلاقا من هذا قمنا بقراءة رواية "**السيرة الطائرة**" لـ "**إبراهيم نصر الله**" إذ نجده في هاته الرواية اعتمد على مجموعة مختلفة من الأماكن العربية من جهة (عمان، البحرين، بيروت، الصحراء الغربية، فلسطين، دمشق.....) والأماكن الغربية من جهة أخرى (برلين، مدريد، نيويورك، إيرلندا، كولومبيا.....وغيرها) وذلك لتصوير أحداث روايته وإبراز دور شخصياته في تلك الأمكنة، ونحاول في هذا الجانب إسقاط الضوء على هذه الأماكن وتوضيح دلالتها في الرواية من خلال تقسيمها إلى أماكن عربية وغربية:

المطلب الأول: صورة الأماكن العربية:

عند النظر في ثنايا الرواية نجد أن الروائي استعمل العديد من المدن والأماكن العربية، إذ يتخذ من المكان وسيلة للذكريات والحنين من جهة، والدعوة للقومية والتوحد من جهة أخرى، لذلك نجده يربط الأماكن العربية بأسلوب فني متميز ليحقق رؤيته في التوحد والقومية.

من جانب آخر نجد أماكن تكررت بشكل لافت مثل عمان ويبدو السبب في ذلك؛ أن الروائي نشأ وتعلم فيها، كما تحدث عن فلسطين وجعلها محطة لاسترجاع الذكريات والحنين للوطن الأم.

1- فلسطين:

يبدأ حديثه عن القضية الفلسطينية وما آل إليه الشعب الفلسطيني تحت أقسى الظروف القاهرة فيصف الإنسان وما يراه أمامه وذلك متجسد في قوله: "**روح العالم، أين تتجسد الآن؟ أين تسكن؟ وكيف تستطيع اليوم الحفاظ على براءتها في زمن القتل على الهواء مباشرة، والحفاظ على ارتفاعها في زمن الطائرات العمودية التي تصر على أن تستوي كل شيء بالحضيض، لا بالأرض؟** "[1] ،الروائي يصف معاناة شعبه من الإستدمار الصهيوني الذي احتل الأرض وسيطر على جميع الحدود من خلال الحواجز العسكرية والطائرات التي سببت القتل الجماعي وقضت على الهوية والدين.

يعود بنا الكاتب إلى عام 1991م عندما كان مسافرا إلى ليبيا وتواجده في **المطار**: "الذي يعد من الفضاءات المفتوحة التي تدور أحداثها في الهواء الطلق، كما أنه مكان عام وانتقال مشبع بحركة المسافرين"[2]

المطار في الرواية نقطة سفر البطل، حيث قدّم الراوي وصفا دقيقا لأبعاد المطار الثقافية والسياسية والإقتصادية، أي عند مشاهدته لأولئك الفلسطينيين كأنه تحسر على وضع بلده المزري، إذ يقول: "**نساء متّشحات بالسواد وأطفال يُجلل ملامحهم الرعب**"[3].

بمجرد حديثه عن المرأة الفلسطينية تظهر صورة القهر والألم والحزن بادية على وجوههن وحوار السارد معهن يبين ذلك:

"منذ أسبوع ننتظر في المطار، ننام على الرخام، ونصحو على الرخام.

قالت امرأة، وأضافت: لم يعد هناك مكان واحد في العالم العربي يريد استقبالنا"[1]

---

[1] – الرواية، ص ص 7، 8.

[2] – مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 95.

[3] – الرواية، ص 57.

الهجرة الفلسطينية لن تكن الأولى ولن تكون الأخيرة لأن المنفى يهدد الفلسطيني في كل مكان وهذا راجع إلى الحرب الذي يتعرض لها البلد الآخر (**حرب الخليج، وحرب العراق**) لذلك يطرد الفلسطينيون ولا يسمح لهم بدخول أراضيهم والسبب في ذلك يرجع إلى القوات الإسرائيلية التي سلبت الأرض الفلسطينية.[2]

لا أحد يريد للفسلطيني أن يعود ولا أحد يريد للفسلطيني أن يبقى.

ولذلك كتب الروائي قصيدة عنوانها (**هم**) **نهايتها**:

وأُقتَلُ في حالة من عناق

وأُقتَلُ في حالة من عراك !!!

وفي آخر الأمر يندفعون إلى جسدي طعنةً

خُذ صواك

ألا أيُّها المبتلى بدماك

لا تكن ها هنا.... لا تكن ههناك !

وكن أي شيء سوانا

وكن أيّ شيء سواك[3].

كما نجد تأثر الكاتب بالأطفال والأمهات عندما حلقت الطائرة بهم وبقي مشهد البكاء والمعاناة عالق في ذهنه، لذلك يقول: "**في هذا الجو المرعب، تدافعت نحوي كل مشاهد الرحيل والموت التي شاهدتها**

[1] – الرواية، ص 57.

[2] – الرواية، ص 58.

[3] – الرواية، ص 59.

بعينّي طفلا وشابا وكل تلك الاقتلاعات المتتالية من الأرض الفلسطينية حربا بعد حرب وسلاما بعد سلام ! وصولا لتلك الهجرة من مخيم (الكرامة) في مخيم الأغوار، المخيم الذي لجأ إليه الفلسطينيون ذات يوم".[1]

من خلال هذا المشهد استحضر الروائي صورة خال أبيه الذي كان يزوره في بيته، فذلك الخال الطبيب عانى كثيرا في حياته بسبب الظروف القاسية التي عاشها في فلسطين.

ثم يستحضر صورة جده وهذا ما تجسده الرواية:

"**حضرت صورة جدي للأبي الذي رحنا نبحث عنه من مدرسة إلى مدرسة أخرى، من تلك المدارس التي التجأ إليها النازحون، وقد توقعنا أنه سيقصد مخيم (الوحدات) لأننا فيه، جدي الذي كنت أمضي إجازات العيد في منزله في مخيم (العزة) في (بيت لحم) وأمضي وأعمامي الكثير من الوقت ونحن نلتقط البلّوط ونشويه في أكثر من شتاء**"[2].

الروائي هنا ذكر لنا المكان الذي يذهب إليه في فلسطين عند جده ويصف الحدث الذي وقع في ذلك البيت مع أعمامه، فدلالة البيت هنا تكون مصدرا للأمن والراحة والطمأنينة فهو من أماكن الإقامة الإختيارية أي المغلقة.

من خلال سفر وتنقل الكاتب من بلد إلى بلد آخر نجده يتشبث بالأرض الفلسطينية وسيتحضر تلك الأمكنة الموجودة فيها في أوساط الثمانينات عند وصفه لأشجار القرب، تأتي صورة الطفلة الفلسطينية في ذهنه

---

[1] –الرواية،ص59

[2] – الرواية، ص 60.

والتي ماتت وهي لا تزال ذات الأربعة أشهر، فنقل لنا هذا الحدث وهو في مكان آخر عن طريق مخيلته فكتب سيرة تلك الطفلة الفلسطينية في ديوان كامل (**مرايا الملائكة**). [1]

كما يشير الروائي إلى خدمة قضية وطنه على الرغم من أنه في مدينة أخرى ،وهذا راجع للمقاومة ومحبة الأرض، لذلك قام بالاجتماع في أمريكا مع الشباب الفلسطينيون لكتابة نص فلسطيني روائي وإخراجه للشاشة بمساعدة أفضل **المخرجين** في السينما العالمية "**أوليفر ستون**".

والمقطع الثاني يوضح ذلك:

"**إن رواية (مجرد 2 فقط) قد كُتبت (فنيّا) وربما دون وعي منه، من وحي ذلك المشروع ومن وحي سينما (أوليفر ستون) نفسها.**"[2]

كما يتحدث عن كتابته الإبداعية المعنوية (**طيور الحذر**) التي كانت تسرد جزءا رئيسيا من تاريخ الشعب الفلسطيني في المنفى (**48– 70**)[3].

من جهة أخرى نجده يتحدث عن فلسطين في كثير من المقاطع على الرغم من أنه في المجتمع الغربي ليترك بصمة بلده بطريقة غير مباشرة، إذ تجاوز الحديث عن الأحداث الساخنة وقرر التحدث عما هو إنساني في علاقة الفلسطيني **بالحياة والحيوان والشجر**.

---

[1] – الرواية، ص 17.

[2] – الرواية، ص 66.

[3] – الرواية، 67.

فيبدأ بسرد حادثة حواره مع أبيه حول شتلة الزيتون وكيف تنضج، فيصف الطريقة التي يزهر فيها الزيتون في العام الذي يليه، إذ شبه تلك الشجرة بالمرأة الحامل.

إضافة إلى حديثه عن الخيول وهذا ترك أثرا خاصا لدى المتلقي من خلال حسن الاستمتاع والإصغاء إليه حتى وصل في نهاية المطاف إلى حديثه عن الشعر فهو النص الأكثر تأثيرا في حياتنا، وإنه النص غير المتوج رسميا بالقداسة، للفلسطيني أمّين: أمه التي ولدته والقصيدة.[1]

من خلال ما ذكر يلمح الروائي إلى أن الإسرائيليين قتلوا الحضور المعنوي للروح، ليس مادي فقط وذلك لإقتلاعهم ربع مليون شجرة ما بين عامي 1987م و 1997م.

كما يقارن السارد الفرق بين حياة المرأة في المجتمع العربي والغربي فيقول: **"إن صعود امرأة إلى سطح بيتها، أو إلى شرفتها، لنشر غسيلها أو احتساء قهوتها، هنا أو في أي قرية، لا يكلفها شيئا، ولكنه يكلف المرأة الفلسطينية حياتها"**[2].

يلمح بأن حياة المجتمع الفلسطيني مطبوعة بالرعب والخوف فهو آخر شعب على هذه الكرة الأرضية الذي بقي واقعا تحت وطأة الاستعمار المدمر للبيوت وفي كل مكان في الشارع أو المدارس أو الفنادق تظهر صورة النساء والأطفال المتكورات خوفا وقهرا وبرادا ليلا من الرصاص والبنادق، لذلك يشير إلى أن العذاب مزدوج عذاب الإهانة والتدنيس، وعذاب الألم والقهر لحال الأمة العربية.

[1] – الرواية، ص ص 116، 117، 118.

[2] – الرواية، ص 121.

ثم ينتقل بنا السارد إلى زيارته لفلسطين المحتلة عام 1987م، من خلال تصريح تقليدي يستطيع قريب أو صديق مقيم أن يدعوه، بموجبه لزيارته هناك، فيتجول في أمكنة فلسطين.

وهذا ما تجسد في قوله:

"**وهكذا وجدت نفسي مرة أخرى على أرض الوطن، لقد ذهبت وتجولت ورأَيت وعدتُ إلى عمان**"[1].

من خلال هذا نفهم بأن الروائي أتيحت له الفرصة لزيارة مسقط رأسه تجول وأحس بما يحدث هناك وبعد خروجه منها واصل كتابته الإبداعية.

خلال عودته من فلسطين اقترح عليه **رئيس مجلة الحصاد** الكتابة في أواخر صفحات المجلة فكان في بداية الأمر مترددا لكنه شرع في الكتابة ولذلك يقول: "**هكذا ذهبت للكتابة على مضض أخيرا، ربما للإحساسي العميق بان ما رأيته أكبر من أن أستطيع كتابته، وبعد نصف صفحة أدركت أنني لا أكتب مقالا، بل أكتب كتابا، وفي أقل من ثلاثة أشهر كنت قد فرغت منه تماما لكنني لم أنس المجلة، إذا اقتطعت لها منه تجربة تلك الأمسية الرائعة في كفر كنا**"[2]. هنا يتبين لنا بأن الكاتب يلمح غلى الشيء الذي رآه بعينه في الأرض الفلسطينية أكبر مما يكتب عنه، ومن خلال ترحاله إلى فلسطين وتنقله في شوارعها أطلق على كتابه (أدب العودة) بفضل هذا الكتاب دخل تجربة جديدة سواء في النثر أو الشعر.

[1] – الرواية، ص 139.

[2] – الرواية، ص 140.

كما قام بنشر (**الأمواج البرية**) مع إندلاع الإنتفاضة الفلسطينية (الأولى) ويبدأ الناس بقراءته من زوايا مختلفة لأنه يعبر عن واقع فلسطين في الداخل، إذ صدر هذا الكتاب في **رام الله مصطلح 1988م** يتحدث عن إعادة استدمار المدن المحتلة **والمقطع التالي يوضح ذلك:**

طلعات متتالية لطائرات مروحية فوق

المدن المحتلة

وفي القاعة...

–إن المسألة تعدّت مناطق القدس ونابلس ورام الله، إننا في ذهول تام الآن ونحن نراهم في يافا والناصرة وحيفا يعلنون العصيان أيضا.

– أيها السادة نحن نفتقد السيطرة على مناطق في قبضتنا، وما داموا يتحدّون سلطتنا فإن المذابح ستستمر.

– هنا تبدأ الملامح بالتداخل، تختفي لنرى لأن من في القاعة لهم ملامح واحدة: شارون.[1]

يصور لنا الروائي صورة القدس ونابلس ورام الله وفقدان السيطرة، فالعدو أصبح في كل المناطق والقاعات والمذابح لازالت مستمرة، فروح الكاتب متعلقة بتلك الأمكنة المغلقة التي لها صلة بمشاعره وأحاسيسه.

[1] – الرواية، ص 142.

ثم ينتقل بنا إلى الحديث عن القصيدة التي كتبها وأحدثت في نفسيته حالة جيدة وذلك من خلال مراسلة صديقه الكاتب "**الفلسطيني**" "**محمود شقير**" بعد أن قرأ روايتي (**أعراس آمنة**) التي تدور أحداثها في رام الله و(**تحت شمس الضحى**) التي تدور أحداثها في غزة إذ يقول له:

كأنك تعيش بيننا

هذا يعني أنني هناك رغم كل شيء، رغم الحدود والدبابات والطائرات والحواجز الإلكترونية وغير الإلكترونية وحقول الألغام.[1]

الكاتب يفتخر بإبداعه الأدبي فروحه مازالت متعلقة بالمكان فهو يعيش في مكانين مختلفين في الوقت نفسه، ويوزع كيانه بين جسد يحتاجه كي يعيش في منفاه ليظل كإنسان واقعا حيا وبين روح تتطلع غلى وطن وتتسلل خلسة إليه رغم كل هذه السنوات.

كما سيتذكر الروائي أحاديث أهله عن الوطن **مازالت** أحياء وقرى فلسطين في ذاكرة الأهل إلى أنها في نهاية المطاف لم يبقى لها الأثر فالمستعمر استولى على **البيت** و**حوله** إلى مصنع للأسلحة وكرم الزيتون تحول إلى مستوطنين **والملاعب** تحولت إلى **مطارات عسكرية**.[2]

ثم ينتقل بنا إلى عام 1987، حين أتيحت له فرصة زيارة فلسطين فيتحدث عن شوارع (رام الله) ويصفها وصفا دقيقا من خلال الضوء الفذ الذي يشع من حجارة أسوارها وبيوتها وكنائسها ومساجدها، ثم ينتقل ليصف

[1] – الرواية، ص 147.

[2] – الرواية، ص 148.

شوارع عكا القديمة وقلعتها وصعود (**الناصرة**) إلى السماء وذلك الصمت الذي تستطيع التجول فيه على شاطئ بحيرة (**طبريا**) وقد تحولت مياهها إلى موسيقي.[1]

كما كان إتجاه الكاتب في مدينة فلسطين نحو **رام الله** في زيارة لصديقه "**عبد السلام**" "**تنقلنا من مكان إلى مكان وحين كنا نعود نبدأ جلسات العمل، فأكتب له الأغنيات وهو يلحنها أو أنتقي له مقاطع تصلح كأغنيات من دواوين شعراء فلسطينيين.**"[2]

نلاحظ هنا بأن الكاتب له حضور في فلسطين فهو يصف شوارع (**رام الله**) إذ أن تلك الشوارع جزء لا يتجزأ من المدينة فهو ممر للمدينة ومفتاح عبورها، لذلك تنقل مع صديقه "**عبد السلام**" من مكان غلى مكان آخر مفتوح.

وكانت وجهة الكاتب نحو زيارة عمه في (**بيت لحم**) فيتجول في هذا البيت كما أنه يتجول في عمان فهو المكان الذي استطاع من خلاله استرجاع الذكريات وإكتشاف خبايا نفسه فهذا البيت يمنحه ذلك لأنه مكان مغلق محدود المساحة.[3]

ثم ذهب بنا الكاتب إلى إتجاه آخر في المدينة لكنه ضاع فتوجه إلى فندق، والمقطع التالي يوضح ذلك: "**بعد أن أخرج من بيت وليد، أحس بأنني لا أريد الخروج من المدينة فأتجه غلى فندق صغير أضع حقائبي**

[1] الرواية، ص 149.

[2] – الرواية، ص 149.

[3] – الرواية، ص 149.

فيه وأواصل التجوال ما بين رام الله والبيرة وما بين رام الله والقدس خائفا أن التقي بوليد مصادفة فيغضب* لأنني غادرت بيته، وأبتعد أحيانا حتى أصل جنين"[1]

من خلال هذا المقطع نلاحظ أن الكاتب تعلق بالمدينة ولا يريد الخروج منها، إلى أن وجهته كانت نحو التنقل ما بين رام الله والقدس واتخذ الفندق كملجأ له.

يعود بنا الروائي مرة أخرى إلى وطنه المحاط بالأسلاك الشائكة والبوابات الإلكترونية من طرف الجيش الإسرائيلي، يقول: "**وصلت (كُفره كنّة) مع سرية رام الله، الفرقة الشعبية الفلسطينية الأكثر شهرة في الثمانينات، لحضور أمسيتها الغنائية في هذه القرية الفلسطينية التي احتلت عام 1948، كل شيء تم ترتيبه مسبقا، لكننا حين وصلنا اكتشفنا أن الأمسية، التي كان من المقرر إقامتها في ساحة المدرسة، ألغين بقرار من السّلطات الأمنية الإسرائيلية، في اللحظات الأخيرة، بهدف إرباك كل شيء على ما يبدو.**"[2]

في هذا المقطع يصف لنا الكاتب وصوله إلى كفر كنّه وتحضير الشباب للأمسية غنائية، فهو يعيش الحدث مع أنباء وطنه.

كما يقول في موضع آخر:

"لكن شباب القرية تحركوا بسرعة:

---

[1] – الرواية، ص 150.

[2] – الرواية، ص 170.

–منعوا إقامتها في المدرسة، سنقيمها في مكان آخر"[1]

يبين لنا الروائي بأن الأمسية ستقام في مصنع للطوب، ولذلك بدأ يصف المسرح المجهز بالكهرباء والناس تتوافد إلى المكان. فقدم لهم قصيدة على هذا النحو:

علَّمونا كيف نصنع

من ظلام الليل شعلة

علمونا كيف نجني

من جراح القلب فله

علمونا كيف يغدو

قلبنا للأرض أزهارا

وفوق الجرح قُبلة.[2]

هذه أول قصيدة والأخيرة التي استطاع الكاتب أن يقرأها في وطنه.

يتذكر الكاتب فلسطين مرة أخرى في مجموعته الشعرية وهو في بلاد الغربة، إذ يلمح للأوضاع السياسية التي أثرت على أماكن فلسطين:

في ذلك الصيف

---

[1] – الرواية، ص 170.

[2] – الرواية، ص 171.

في تلك الظهيرة

حيث لا ظلّ يغدو للشجرة

ولا سقف يغدو للشجرة

ولا سقف يغدو للبيت

ولا خضرة لجبين الأم

كانت العتبات تحاول الدخول

والشوارع تجري ملتصقة بالجدران

عشر بنادق سوداء

أطلَّت من هناك

ولم يكن الصبيُّ يدرك ما يدور

.....

في تلك الظهيرة...

خرجت الشمس... ولم تعد بعد.[1]

[1] – الرواية، ص 218.

الكاتب في هذه القصيدة يقدم لنا صورة الإستدمار الذي قضى على كل الأمكنة من بيت ومدرسة وشارع وشجرة فتحولت غلى مواقع عسكرية يحكمها الإسرائيليين.

2/ عمان:

عمان أو رسميا (سلطنة عمان) هي دولة عربية تقع غرب آسيا ونظام حكمها ملكي، تتمتع سلطنة عمان بوضع سياسي واقتصادي مستقر، إقتصادها نفطي، وتصنف باعتبارها البلد الأكثر سليمة في العالم وفقا لمؤشر السلام العالمي.[1]

مدينة عمان مكان مفتوح جرت فيه أحداث الرواية والمكان الذي ولد فيه الكاتب، لذلك قام بتقديمه منذ اللحظة الأولى للقائه مع الشاعرة "**سارة ماغواير**" في **بيته** واجتماعه مع عدد من الأصدقاء وكانت براعة الروائي في نقل صورة حسية تجسدت من خلال استمتاعهم بموسيقي الطبيعة، حيث تحول هذا **البيت** من بيت مليء بالأحزان والتعاسة إلى بيت الراحة.[2]

المقطع التالي يوضح ذلك: "**كل هؤلاء جعلونا نعيش في بيت واحد يتسع لنا كلنا وتغطي مساحته كوكبنا الصغير البائس**"[3].

ومصطلح البيت هنا يحمل دلالة مغلقة ذات طبيعة إيجابية بعد أن كان ذا طبيعة سلبية مضطهدة.

---

[1] – الموسوعة الحرة ويكيبديا: (http.// ar.m. Wikipedia. Ogj)، 31/ 05/ 2021م، الساعة 13:30.

[2] – الرواية، ص 9.

[3] – الرواية، ص 9.

بعد سفر الكاتب من بلد إلى آخر ووصفه للأشجار يعود بنا مرة ثانية إلى **عمان** من خلال تصويره للشجرة بأنها كائن حي عليه أن يحفظها ويوصل صوتها إلى العالم عن طريق كتابيه الإبداعية.

"... **لم أكن أعرف ما سأفتقده تماما لو لم أصور تلك الشجرة**"[1] كأنه مهدد بفقدان أعز ما يملك إن لم يُلبّ مطلبها.

ذات يوم سأعود إليها

سيكون ثمة عشاق قد سكنوها

سأعود إليها مطمئنا

لأن أيا من أولئك الذين سكنوها ذات يوم لن يغادرها أبدا.[2]

ثم يسرد لنا وجوده في **مطار عمان** وتأخر إقلاع طائرة فرانكفورت، إذ يعود لتصوير سوء المعاملة والظلم الذي يتعرض إليه الإنسان من طرف المسؤولين في الدول العربية عموما والموظفين على وجه الخصوص، ولكن سرعان ما ينسى المرءُ ذلك الظلم، عندما يتذكر أنهم أيضا لديهم الذي يراقبهم من بعيد بواسطة آلات التصوير وكأن تلك الآلة دلالة على التهديد.[3]

---

[1] – الرواية، ص 18.

[2] – الرواية، ص 18.

[3] – الرواية، ص ص، 36، 37، 38.

ثم ينتقل بنا إلى "**أسواق عمان**" المنغلقة، وينقل لنا الأجواء واستماعه برؤيته، لكاميرات المراقبة "**.....رأيت الكاميرا الصغيرة تنقل صورته إلى مسؤول اكبر منة يراقبه....**"[1]

يتضح هنا أن كل شخص يعمل في وظيفة ما، هناك مسؤول أكبر منه يتحكم فيه ويراقب تحركاته كلها.

كما اعتبر الكاميرات بمثابة تهديد للناس وكأنها كائن حي يقول أنا أراك وأراقب كل تحركاتك[2].وفي مقطع آخر من الرواية يبين الكاتب صورته المفزعة واندهاشه من طريقة كتابته عند رجوعه إلى "عمان" "**أصابني الفزع عندما رحت أحدق فيما كتبته والكيفية التي كتبت فيها.....**"

نلمس من خلال هذا القول أنه يحمل دلالة يعبر عن الحالة النفسية المتمثلة في اصطدامه بالواقع.

حيث شبه طريقة كتابته بالسجناء القاطنين في السجن لأن "**السجن**" مكان مغلق يقيم فيه الإنسان مجبرا لا بمحض إرادته، ويعد عالما تنتهي عنده حرية الإنسان.

"**...كتبت كما يكتب السُّجناء الذين لا يملكون فائض ورق أو فائض حبر.....**"

لكن رغم ذلك واصل الكتابة حتى النهاية، فقد تحدث عن الواقع المرير والمآساة والتهميش واللاعدالة والمعاناة وقد عاشها الكاتب بجميع أحاسيسه وجوارحه واعتبر نفسه واحدا منهم، وبعدها عاد مرة ثانية إلى قراءة الرواية، ولم يحتمل قراءتها مرة ثانية: "**لم احتمل العودة لعذاب الرواية.....**"[3].

---

[1] – الرواية، ص 37.

[2] – الرواية، ص 38.

[3] –الرواية، ص ص 61، 63.

وفي مقطع آخر من الرواية يتحدث الكاتب عن مديرة إحدى المدارس الخاصة في عمان، مع امرأة التقى بها في "**بيروت**" "**لقد سمعت منها شيئا بعد قراءتها لهذا الديوان، اعتبره أهم من أي نقد كُتب عن شعري من قبل، وأنت اليوم تفعلين الذي لم تستطع هي أن تفعله**".

ويلمس من خلال قول الكاتب بأن ديوانه يحمل دلالة توحي إلى الشعور بالطمأنينة والراحة النفسية، وتقوية العلاقات الاجتماعية "**وحين سألتني أو أوضح ، قلت لها: لقد قالت لي لو قرأته قبل وفاة أمي لكانت علاقتي بها، بالتأكيد، أفضل واسرت لي أنها تكتب مقاطع منه وتلصقها بالمرآة كل صباح لتحب أولادها ويحبوها أكثر.**"

ثم ينتقل ليصور لنا في اليوم التالي حالاتها النفسية السعيدة وشعورها بالفرح لفرح والدتها عند قراءتها لتلك القصيدة.

بعد مرور أكثر من شهرين زارت "**عمان**" والتقى بها الكاتب في مهرجان الفنون.

"... **فقد كانت أمامي في دار الفنون....**"

"...**فقد كانت البداية المفاجئة.....**"[1].

فالسارد من خلال هذه الأقوال بين تعجبه من وجودها في المدينة.

[1] – الرواية، ص ص 110، 111.

وبعدها انتقل الكاتب إلى وصف جبال "**عمان**" الشامخة، وكيف كانت السيارة تصعد في سفوح الجبال لكنها كلما ارتفعت تبذل جهدا أكبر من الأول إلا أن أصابها عطل في الطريق، وكانت الطريق ذات إنزلاقات لا أحد يستطيع التوقف لمساعدتهم.

وكان عليهم الصعود إلى القمة مشيا على الأقدام.

وهنا بدأ يصف المكان بطريقة إبداعية جميلة وقد جعل القارئ يعيش تلك اللحظات معه، وتقريب صورة المحسوس وتجسيده في نفس القارئ ومشاعره.[1]

"**.... لتأمل أوضاع ساكني البيوت الفقيرة، التي كانت تزداد فقرا وتتحول إلى أكواخ كلما صعدنا أكثر....**"[2].

نلاحظ من خلال هذا القول تأثر الكاتب بالوضعية الاجتماعية المزرية التي يعيشها سكان المناطق الجبلية.

رغم الخوف الذي سيطر عليه في البداية إلا أن هناك فتاة استطاعت أن تدخل عليه السعادة مرة ثانية بأغنيتها "**تلك الأغنية التي تربط السفح بالقمة بإقاعها الفرح الذي يموج أمام عيني....**"[3]

فجبال عمان جبال ذات ارتفاع كبير ليس من السهل الوصول إليها، لأنها مكان مفتوح على الطبيعة وله دلالات حيث يبحث في الروح الطمأنينة والراحة النفسية التي لا يمكن أن يجدها الإنسان في أي مكان.

---

[1] – الرواية، ص ص 161، 162، 163.

[2] – الرواية، ص 164.

[3] – الرواية، ص 164.

3/ طرابلس:

طرابلس هي عاصمة ليبيا وأكبر مدنها وهي مكان مفتوح قام بذكره الكاتب في الرواية، حيث صور داخل هذا المكان المفتوح مكان مغلق "**المطار**" ".....**وصلنا مطار طرابلس قبل منتصف الليل**".[1]

ثم انتقل إلى مكان مغلق إجباري آخر "**الفندق**" "... **وبعد رحلة عذاب وصلنا إلى فندق ننام فيه**"[2]

نلمس هنا حجم المعاناة التي عانها الكاتب من أجل الوصول إلى هذا الفندق، لأنهم لم يقوموا باستقبالهم وتوجيهم إلى فندق الضيوف وغياب تام للمسؤولين عن الدعوة ".....**لم تكن هناك في استقبالنا**...."[3]

وهذا ما دفعه إلى طرح التساؤل التالي: "**ما مصيرهم إذا ، أولئك الذين جاؤوا بلا دعوة رسمية رفيعة مثلنا**"[4].

هذا التساؤل يحمل أبعاد نفسية الكاتب وتأثره من طرف أحد عمال المهرجان وذهب بهم إلى "**الفندق**" المخصص للضيوف، وبدأ في الكتابة فهي المرة الأولى التي يكتب فيها وهو مسافر "..... **إذ لم يسبق لي أن كتبت من قبل حرفا واحدا في السفر**."

4/ الصحراء الغربية:

[1] – الرواية، ص 61.

[2] – الرواية، ص 61.

[3] – الرواية، ص 61.

[4] – الرواية، ص 61.

هي دولة عربية تقع غرب إفريقيا على المحيط الأطلسي، تعتبر من الأماكن المفتوحة زارها الكاتب **في أوساط السبعينات"** من أجل البحث عن لقمة العيش، وكتب فيها أول قصيدة له باللغة العربية الفصحى **".....ولعلها أول قصيدة طويلة أكتبها بالفصحى !!"** كان موضوع القصيدة يدور حول الظلم الاستعماري الذي يتعرض إليه الإنسان **فهو بمثابة "القبر"** وهو من الأماكن المغلقة السلبية الذي استخدمها **"قبر جماعي أعرفه تمام..."**

ويقول في متن آخر ".....ذلك القبر.....سنوات من المذبحة....."[1]

وهو هنا يحمل دلالة مغلقة ذات طبيعة سلبية موحشة ومخيفة.

في الثانية والعشرين كانت وجهة الكاتب إلى **"الصحراء"** لتحقيق الأحلام التي يحلم بها و**"الصحراء"** هنا المكان المفتوح الذي يشعر فيه الإنسان بالخوف والضياع.

"..... إلا لأننا نفتقد الخبرة تماما ولم تجرب شيئا حقيقيا واحدا يمكن أن نشق به الطريق في هذه المساحات المجهولة من ممرات وقاعات المطارات .... سائقي الأجرة الخبثاء"[2].

فتحمل الصحراء هنا دلالة التشرد والشعور بالضياع داخل منطقة ليس من السهل العيش فيها إن لم تكن من أهلها.

تصبح الصحراء رمزا للمنفى الحتمية بسبب ظروف القاسية التي تدفع بالإنسان إلى السفر، هروبا من الفقر من أجل تحسين الأوضاع الاجتماعية **"..... العمل من أجل لقمة الخبز أولا وثانيا وعاشرا ربما".**

---

[1] – الرواية، ص 65.

[2] – الرواية، ص ص 71، 72.

نلمس هنا مدى المعاناة التي تعاني منها الكاتب فيتبين أن ذهابه كان من أجل العمل وليس للترويج عن نفسه.

ثم بدأ يرسم صورة فنية لها بأدق التفاصيل فجعلنا نعيشها معه بدقة عالية بصورة محسوسة ".... **هنا انتصبت الشمس مقابل ذلك الصقيع..... الشوارع الرملية التي لا تنتهي..... تذوقنا طعم الوحل الذي كان يتطاير من أقدامنا الحافية ليبلغ شفاهنا، قرية لا تعرف الكهرباء، ولا تمديدات المياه ولا الشوارع المعبرة**"[1].

كان وصف الكاتب **للصحراء وصفا دقيقا** منبعثا من القلب وبأعمق الأحاسيس، فالشمس كانت حارقة يدل على الارتفاع الشديد لدرجة الحرارة، حيث رسم صورة الشوارع المتشابهة، برمالها الذهبية التي ليس من السهل التفريق بين شارع وشارع آخر، وتلك "**القرية**" التي تعد من الأماكن الخارجية السلبية المفتوحة لأنها لا تحتوي على أبسط متطلبات الحياة.

تظهر صورة الكاتب، وقد أخذت تضيق روحه من "**الصحراء**" كئيبا حزينا بسبب افتقاده لعائلته والحاجة إليهم عندما تستدعي الحاجة إلى ذلك "..... **العزلة العارية..... أمراض لا تحصى في ذلك المخيم..، كان على المرء أن يكون أمه ووالده وأخوته..... يمسدون جبهته المحترقة...**

تلك العزلة،... كانت البداية التي لا بد منها البداية التي لو لم يمتلكها المرء لما استطاع إلى ما تلاها".[2]

[1] – الرواية، ص 72.

[2] – الرواية، ص ص 72، 73.

تركب البحر:

قد تصل جزيرة

تعبر الصحراء:

قد تبلغ واحة

تسكن العزلة:

قد تبلغ نفسك !![1]

نلمس هنا نفسية الكاتب الحزينة والمكتئبة من الوحدة.

بعد مرور سنوات من مغادرته للصحراء أدرك بأنه كان يرسم صورة لقرية جعلها في مخيلته واقتنع نفسه بأنه يعيش في تلك القرية المرسومة في ذاكرته ما يحب هو أن يراها.

"حقول الذرة الفقيرة تتحول إلى سهوب السافانا..... وإذا بالأشجار الشوكية تتحول إلى غابة...."[2]

يتبين لنا هنا قدرة الكاتب على الإبداع والتوسيع في مخيلته والتحليق بها إلى أبعد الحدود.

كما نجد بعدا جماليا من خلال قوله "....**الشروق والغروب ونجوم الليل بالطريقة نفسها التي أحس بها صاغو لأنها النجوم نفسها والغروب نفسه والشروق نفسه رغم كل ما في المشهد الأرضي من اختلاف**".[3]

---

[1] – الرواية، ص 73.

[2] – الرواية، ص 74.

[3] – الرواية، ص 74.

كل هذا يدل على أريحية الكاتب واستمتاعه، الذي يبعث بالطمأنينة والهدوء وافتتانه بها رغم وجود اختلاف بسيط بينهما.

من خلال ما شاهده الكاتب وعاشه كون لنا صورة فنية جميلة ذات طابع إبداعي متميز.

5/ دمشق:

مدينة **"دمشق"** عاصمة سوريا اتجه إليها **"إبراهيم نصر الله** عن طريق الحدود البرية في شتاء **عام 1989**، وتظهر صورة **"دمشق"** من خلال الربط بينها وبين **"الأردن"** بحيث ذهب إليها مع الوفد الأردني للمشاركة في المهرجان الشعري لكن سرعان ما تم إيقافهم من طرف الحدود الأردنية وادخاله، إلى **الغرفة المغلقة الضيقة"** التي توحي إلى الخوف واستعمال السلطة **".....الغرفة الضيقة.... وما إن وصلت إلى هناك حتى طلب مني أن أخرج كل ما في جيوبي من أشياء وأضعها على الطاولة أمامه...."**

"تصفح الأوراق، النقود السورية والأردنية التي بحوزتي..."

وهنا بدأت معاناة الكاتب في تلك الرحلة، وبداية توجيه التهم إليه **"أدركت أن رحلة الألف ميل السوداء قد بدأت"**

صادروا جواز سفري ومنعوني من اكمال الرحلة....."[1]

من خلال هذا المقطع نلمس حجم المعاناة التي تعرض إليها الكاتب مع تدهور الحالة النفسية.

[1] – الرواية، ص ص 82، 83.

ثم انتقل إلى مدينة "**اربد**" القريبة من الحدود من أجل الدخول إلى عمان "**لاسترجاع جواز سفره من السفارة** باحثا عن "**سيارة**" تنقله إلى هناك "....**سيارة تنقلني إلى عمان**"[1].

وقوى كان ذلك اليوم بمثابة مشوار طويل انتهى عام 1990 لأن السفارى خلال تلك السنوات فرضوا عليه حصارا بعدم خروجه إلى أي مكان، وقد كان هذا سببا في دفعه إلى مواصلة الكتابة والتعلق بها، ثم أخذ يتحضر عن الأسفار التي ضاعت منه بسبب حرمانه من السفر.[2]

وبهذا نخلص بأن الكاتب انتقل من مكان مفتوح إلى مكان آخر مفتوح، فكون بهذا صورة جميلة من خلال الجمع بين عدة أماكن مفتوحة.

في رواية **السيرة الطائرة**" تتحدد البعض من الاسترجاعات؛ "إذ نلمس ذلك فيما يستذكره السارد لأحداث ماضية"

تتشابه مع أحداث وقعت في الحاضر، أو أنه يحن تلك الأحداث.

يقوم السارد بالعودة إلى أحداث مضت ليسرد لنا أهم الوقائع التي جرت له، بداية **نذكر مدينة**:

6/ ثغر اليمنية: الذي أمضى ليلة في أحد فنادقها عام 1980 وصل إليها في الليل قادما من "**مدينة عمان**" متجهين غلى "**صنعاء**"، ثم بدأ يصف لنا مدينة "**عدن**" المدينة المفتوحة فقال "**نظرت للأعلى بدالي أن المدينة**

[1] – الرواية، ص 84.

[2] – الرواية، ص 84.

ملتصقة بالسماء، كان صعودها لا نهائي، بحيث لا تستطيع أن تعثر على فرق واضح بين نجوم السماء والنوافذ المضيئة للمدينة"[1].

فالسارد هنا يستذكر شيئا من الذي شاهده ورسخ في ذهنه، فهذه المدينة بقيت راسخة في ذهنه يسبب جمالها، فوصفها لنا وكأنها جنة فوق الأرض، وقد كتب عنها مجموعة من القصائد بعنوان "**أزهار عدن**":

في أول الدرب كنت أشير إلى بيدر من بيروت وأسأل هل تصل الريح تلك القمم؟ !

ولولا اندفاع الطفولة في لقت: نعم.

آه لا تنتهي الأرض في أرضكم !!

ولولا اندفاع الطفولة فيّ

لكنتُ رأيت الصحاري تحاصر أشجاركم.[2]

ثم يعود بنا الكاتب إلى **''البحرين"** حيث اكتشف الكاتب أن غرفته المغلقة قريبة من المصعد فغيرها ولكن عند ذهابه إلى النوم بعد قضاء أحلى الأوقات مع الأصدقاء اكتشف مرة ثانية أن غرفته تحت ملهى ليلي وكيف كان سريره يتحرك يمينا وشمالا، وقد شبه هذا الموقف بحلقات (**توم وجيري**).

وبعدها أصبح أكثر انتباها كي لا يقع في هذا الخطأ مرة ثانية فهي وجود غرفته بجوار غرفة الخدمات أو خرداته الخدمات فهذه الجهة المغلقة لا تزعجه.[3]

---

[1] – الرواية، ص 152.

[2] – الرواية، ص 152.

[3] – الرواية، ص 153.

7/ العراق:

بعد الحرب الثانية على العراق عام **1990** أتته دعوة إلى مهرجان "**المريد**"، ولكن تلك الدعوة أفزعت الكاتب، فهو يرى أنها ليست في وقتها ".....**أفزعني الأمر، أفزعتني تلك الجرأة الرامية لاستلاب وعينا وقد تم تحويل تلك تلك الكارثة إلى نصر**"[1] ؛نلمس هنا أن الكاتب غير مقتنع بهذا المهرجان، وأيضا خوفه من عودة الحرب.

فلم يلب الكاتب تلك الدعوة ولم يذهب إلى هناك رغم الدعوات التي كانت تصله في المناسبات الأدبية أو غير الأدبية، كانت هناك مرة واحدة زار فيها **مدينة بغداد**" حينما نظمت رابطة الكتاب الأردنيين رحلة من أجل كسر الحصار المفروض على العراق.[2]

8/ بيروت:

تظهر صورة بيروت من خلال لقاء الكاتب برجل عربي حدثه عن سبب وجوده في مدينة "**مداايين**" وكيف كان يعتقد أن السياحة فيها مثل السباحة في "**بحر بيروت، لم أكن أعرف المحيط ولا أعرف طبائعه وصلت إلى الصخور الكبيرة وألقيت بنفسي، وفجأة وجدت الماء يسحبني بعيدا، تلفت حولي لم أر الصخور، لم أر أحدا وأدركت أن لحظة موتي حانت**"[3]

من خلال هذا المقطع تتضح الدلالة الحقيقية لهذا المكان المفتوح "**البحر**" على أنه مكان مخيف لا يبعد عن الراحة والطمأنينة وركوبه أشبه بركوب قارب الموت.

---

[1] – الرواية، ص 156.

[2] – الرواية، ص 156.

[3] – الرواية، ص ص 281، 282.

ثم فكر وتحاور مع نفسه كيف له أن يموت هنا وقد قطع كل هذه المسافة من "بيروت" ليموت في البحر، فقطع عهدا على نفسه انه إذا نجا من الموت لن يترك ذلك المكان طوال حياته.[1]

المطلب الثاني: صورة الأماكن الغربية:

يكثر ذكر الأماكن الغربية في الرواية إذ ينطلق بنا "إبراهيم نصر الله" في رحلته الاستكشافية إلى قارات العالم ويبدأ حديثه عن المدينة التي كانت جامعة للأكبر الكتاب والفنانين وهذا ما تجسد في قوله: "**كنت أرحل في السنوات الأخيرة بين مدينة ومدينة، وألتقي كتابا وفنانين من عديد دول العالم يجمعنا مهرجان ثقافي هنا أو ندوة هناك، يجمعنا حديث عابر أو حديث طويل**".[2]

وفي موضع آخر يقول: "**نكتشف أننا سكان وردة واحدة وحلم واحد وذائقة تتلمس الضوء بتطلعها للحياة والجمال، نكتشف أن ما شكلنا بشرا هو ذلك الفيض الثوراني من المبدعين الكبار**"[3].

أي أن جميع المبدعين يربطهم هدف مشترك إضافة إلى ذلك نجده يتحدث عن الرحلات والناس الذي التقى بهم: "**كل شخص قابلته في هذا الدّوران بين كثير من مدن الأرض، اكتشفت منه بعد خمس دقائق الطريقة التي يمكن أن يتحول فيها البشر إلى أطفال يفيضون حماسة، واكتشفت أننا كم كنا مخطئين حين ظننا أننا افتقدنا براءتنا للأبد**".[4]

يبين لنا الروائي هنا مدى تحول البشر إلى أطفال بسهولة لأنهم عبارة عن روح العالم.

---

[1] – الرواية، ص 282.

[2] – الرواية، ص 8.

[3] – الرواية، ص 8.

[4] – الرواية، ص ص 9، 10.

ومن المقاطع التي يصف فيها **"إبراهيم نصر الله"** سفره من مدينة أخرى نذكر:

1/ كولومبيا:

تقع كولومبيا في الجزء الشمالي الغربي من قارة أمريكا الجنوبية، وقد كانت واحدة من إحدى الرحلات الاستثنائية التي قام بها الكاتب، لما تركه ذلك المكان المفتوح من أثر في تجربته الكتابية، وهذا ما جاء في حوار صديقه الدكتور **"فيصل دراج"** عن كتابته في **كولومبيا "وفجأة سألني: لهذا لا تكتب عنها ثلاثة، أو أربعة مقالات أن فيها الكثير مما يمكن أن يقال؟ ولكنني حين بدأت أكتب أعرف أننا لن أكتب مقالات عن تجربة كولومبيا، بل كتابا، وربما يعود ذلك إلى ميلي الدائم ومضيئا بعضها بعضا"**[1].

فالسارد في هذا المقطع كشف عن ميله وإعجابه وامتلاكه الإرادة الكافية للكتابة دون ملل.

في جو نفسي مشحون بمشاعر الحنين والراحة والسكينة يعود الكاتب ليصف **"كولومبيا في قوله: "في كولومبيا كل شيء دافئ وليس ثمة ما هو أكثر طيبة ودفئا من قلوب الناس الدين تلتقيهم".**[2]

نلمس هنا تأثره بالمدينة والسكان القاطنين فيها.

فالكاتب لم يقتنع بكتابته التي كتبها عند زيارته "لكولومبيا" فقد نسي بعضا منها مما أدى إلى تأسفه لأنه أراد أن ينقل تلك الصورة بجميع حذافيرها دون نقصان.

ولكن هذه هي طبيعة البشر "النسيان" وقد شبه البشر بالبلاد لأن عند انتقال الإنسان من مكان إلى آخر لا تبقى صورة المدينة السابقة كما شاهدها هناك، فالذاكرة تبدأ بتسجيل المكان الجديد.

---

[1] – الرواية، ص 10.

[2] – الرواية، ص 108.

".....أول شيء لابد أن نقوم به هو أن نخفف مما حملناه..... نخلع ما على أجسادنا..... قد تكون في غرقنا ! .....الروح لذلك الجديد الذي لم يسبق أن عرفناه حقا."[1]

نلاحظ أن الكاتب يجب أن يحدد نفسيته في كل مرة يسافر؛ لأنه لا يريد أن يكون حبيس الماضي ومقيدا بقيود تلك المدينة.

ثم ينتقل ليصور المدن الصغيرة التي يحلم بها الإنسان، فهي عواصم تحتاج إلى المسافرين إليها في أقرب وقت ممكن، لكن دائما هناك عراقيل تمنع وتصعب السفر سواء أكانت مادية أو معنية متمثلة في **"الغابات" والأشجار والأنهار والقرى والبلدان**، وكل هذه الأماكن مفتوحة ذات دلالة إيجابية تبعث في النفس الطمأنينة والراحة النفسية الاستمتاع بالمناظر الخلابة، ولكن لابد أن يكون هناك دائما سببا مقنعا وهدفا من أجل هذه الرحلة الطويلة والشاقة.[2]

كتب عنه ذلك الشاعر العراقي الرائع معد الجبوري قصيدته الرائعة تلك:

[1] – الرواية، ص 224.

[2] – الرواية، ص 224.

بحارُ هرمٌ

مند عصور يرحل

وهو يفتشُ عن لؤلؤة

تتخلق في أرض واعدة موعودة

قال خذوا الحكمة عني:

إن الأبحار هو اللؤلؤة المفقودة.[1]

تبين من خلال هذا المقطع مدى صعوبة الرحلة من جهة والاستمتاع بها من جهة ثانية.

في بداية حديث السارد عن رحلته إلى "**مداين**" بدأ بوصف الفندق الذي يمكث فيه، وإذا يجد بها خمس أسرة، بين تلك الأسرة سريران كبيران، موزعة على ساحة الغرفة، ووقف حائرا على أي سرير سوف ينام عليه لكن رغم ذلك اختار مكان مجاور للهاتف، ثم خرج إلى الشارع وإذا به يجد الشوارع شبه خالية وحتى وسائل النقل فهي تمر بسرعة، ويعود بعد امتد أمتار من "**الفندق**"[2] "**تحت الإشارة الضوئية، حدقت يمينا يسارا إلى أعلى حيث البنايات تصعد، انعطفت يسارا، بعد أقل من خمسين مترا أيضا، لاحت لي الأضواء المعلقة في السماء أضواء البيوت فوق الجبال**".[3]

[1] – الرواية، ص 224.

[2] – الرواية، ص 151.

[3] –الرواية، ص 152.

نلاحظ من خلال هذا الوصف الدقيق لهذا المكان المفتوح أنه أعطاه صفة شمالية وواقعية، فهو يصف لنا مكان حقيقيا إذ كل الأوصاف التي ذكرها تحمل مظاهر الحقيقة، فمثل هذا الوصف يبعث الاطمئنان في نفس القارئ.

ثم يذهب ليصف لنا أحوال الطقس في مدينة "**مدايين**" "**المطر الذي لم يكن مفاجأة لي، فطوال الأسبوع السابق للسفر تتبعت أحوال الطقس في "مدايين" عبر شبكة الأنترنت، ولم تكن اختاره تسر "عواطف رعدية..... إنه الطقس المثالي الذي أكرهه.... كان سببا في أحيان كثيرة، للاعتذار عن السفر إلى بلد ما، وتأجيله**"[1].

يتبين لنا أن هاذين المقطعين يحملان أبعاد نفسية تتمثل في الحزن والأسى الذي ألمَّ بالكاتب من هذا الجو التعيس.

اعتبر الكاتب مدينة "**مدايين**" مفاجأة الليل، كما أنها أيضا من مفاجأة النهار.[2]

2/ مدريد:

مدريد هي عاصمة مملكة إسبانيا وأكبر مدنها، تقع المدينة على ضفاف نهر **مانثا ناريس** في وسط إسبانيا، وتعد أكبر مدن الاتحاد الأوروبي بعد **باريس ولندن وبرلين**، بها مقر الحكومة الإسبانية والعائلة وأهم شركات البلاد وستة جامعات حكومية.والعديد من المعاهد العليا،تعتبر مدريد أحد أهم مدن أوروبا استراتيجيا وثقافيا

[1] – الرواية، ص 157.

[2] – الرواية، ص 224.

وإقتصاديا،[1] ولذلك نجد الروائي يصف مدريد في اللحظة الأولى، التي وصل إليها وإعجابه بها إذ يقول:"**ثلاثة أيام في مدريد صحبة الكاتب العراقي الصديق عبد الهادي سعدون، كانت كافية لالتقاط الأنفاس بشكل كاف كي يستطيع المرء احتمال التحليق عشر ساعات متواصلة فوق الأطلسي، حيث لا يبقى هنالك في الأسفل غير المياه، والعالم يتحول إلى رحم أزرق داكن وقد اختفى ذلك الخط الفاصل بين المحيط والسماء في ذلك السباق الغريب للطائرة مع الشمس.... وللمفارقة فإنها تسبقها.**"[2]؛ فهذا المكان المنفتح في المحيط الأطلسي يبدو للناظر أن لا نهاية تحده وقد وصفه الكاتب وهو على متن الطائرة.

ورسم له صورة رائعة يشعر القارئ المتبصر أنه يشاهد المكان ويستمتع بجماله حتى وهو يقرأ سطور الرواية، وتلك براعة قل ناظرها تجعل من المعنوي محسوسا وتقرب صورة المحسوس وتجسده في ضمن القارئ ومشاعره، هذا القارئ الذي قد لا يكون في معظم الحالات عرف المحيط الأطلسي إلاّ من خلال صور كتب الجغرافيا في المراحل الأولى من التعليم.

فريشة الكاتب نقلت الصورة بكل وضوح وهو يشاهد من عل تحول العالم إلى **فضاء أزرق** تسيطر فيه المياه على اليابسة فالمحيط عالم المخلوقات بحرية عديدة تعيش في أحشائه، إلا جانب أن الكاتب بتخليه قد ابتلع اليابسة وما الحكم الغالب.

ويمعن الكاتب في الوصف أكثر حول مدريد فيتحدث عن الخط الوهمي الذي كنا نراه من بعيد فيتخيل أنه الخط الفاصل بين **الأرض والسماء** هذا الذي ما عاد موجودا والروائي يحلق في الفضاء ويعاين سباق الطائرة مع الشمس وفوز الطائرة في النهاية فهل هناك أصور وأجمل من هذا التصوير الذي عرف الكاتب كيف ينقله إلى

[1] – الموسوعة الحرة ويكيبيديا: (http.// arm . wikipedia.org)، 31/ 05/ 2021م، الساعة 14:00.

[2] – الرواية، ص 12.

القارئ وفوق ذلك مزج بين الأمكنة أين وصف السماء بطريقة غير مباشرة حين تحدث عن الشمس التي سبقتها الطائرة ولولا قدرة الكاتب على التأمل والاستغراق لما نجح في رسم أبعاد وحدود الصورة المكانية بدقة عالية.[1]

إضافة إلى ذلك يصف لنا الكاتب **مدينة مدريد بأنها** نقطة وصل لكثير من الشعراء العرب والعالميين خاصة في شوارع المدينة ومفاهيمها وما يمكن أن تشاهده العين في الطائرة، ومن حسن حظ الكاتب أن مدريد أتيحت له فرصة لقاء مع **الدكتور "محمد الجعيدي"** وهذا ما أكده في الرواية بقوله:"**كانت فرصة رائعة أن يلتقيهم المرء ويمضي معهم دال ذلك الوقت الجميل الحافل بالأمل وطموحات إحداث فرق جوهري في وضع الثقافة العربية على أرض إسبانيا**"[2].

وبعده انتقل الكاتب إلى التعبير عن حالاته النفسية المليئة بالخوف من المدينة الجديدة، لكن لم يتركه صديقه لوحده في تلك المدينة، حتى لا يشعر بالوحدة هناك وقد أخرج ذلك الخوف من قلبه وذلك من خلال قوله "**يدخل معظمنا المدن خائفا في زيارته الأولى لها، إلا أن الصديق سعدون لم يترك لهذا الخوف فرصة للتسلسل إلى القلب.....**"[3].

كما تحدث عن شوارع المدينة العامرة في الصباح والخالية والمهجورة في المساء، فالذي يأتي إليها أول مرة يعتبرها مدينة لا حياة فيها، وذلك بسبب ارتفاع درجات الحرارة فيها.

---

[1] – الرواية، ص 12.

[2] – الرواية، ص 13.

[3] – الرواية، ص 13.

فالشارع هنا مكان مفتوح ليس له حدود، فالسارد لم تمنعه الحرارة المرتفعة من التجول والانتقال في الشارع[1].

وأيضا نجد مناجاته مع نفسه وحواره معها إذ يقول: "**كل مدينة لم أتهاو على مقاعدها الرّصيفية متعبا لا أستطيع القول عرفتها**

تلك وصيتى لنفسي

وقد سمعت كثيرين يرددونها لأنفسهم باستمرار.[2]

يتبين لنا هنا أن السارد غير مقتنع بنفسه إن لم يتعب من المشي سيرا على الأقدام ويأخذ استراحة في الشارع، وذلك بسبب اكتشافه لجميع شوارع المدينة في الشارع، وذلك بسبب اكتشافه لجميع شوارع المدينة: "**كل مدينة أتهاوَ على مقاعده الرّصيفية متعبا لا أستطيع القول إنني عرفتها**"[3].

ثم يذهب بنا إلى وصف "الفندق" الذي يعتبر مكانا مغلقا، مكان إقامة إجباري يقصده السياح ليقيموا فترة زمنية وجيزة أو أشخاص ليس لهم مأوى.

"**الفندق**" في الرواية مكان إقامة السارد، إذ كان من السهل عليه الوصول غليه لأنه يقع في قلب المدينة وهذا ما يؤكده المقطع التالي:

مذاق المدن

---

[1] – الرواية، ص 14.

[2] – الرواية، ص 14.

[3] – الرواية، ص 14.

دائما يتفتح هناك في الوحدة...[1]

في موضع آخر من الرواية يتبين أن في كل **"شارع"** هناك أشجار مختلفة إذ يصف هذه الأخيرة وصفا دقيقا فالأشجار بالنسبة له كالبشر، لذلك يتحصر على ضياعه لتلك الأشجار الشامخة، فلم تبقى على حالها، فقد تحولت إلى حبارية تغمرها الحروف الصغيرة والإشارات، تعطيه تدرجات اللون البني واللون الأخضر إحساسا بالقداسة مثل صفحة من كتاب قديم: **"إن الأشجار التي تتركها وراءك لا يعيدها إليك سوى رجوعك إليها."**[2]

في جو نفسي تسوده الشفقة والتحصر المهجورة التي لم تحض بالاهتمام الكافي من طرف البشر، حظيت باهتمام الكاتب، لأنها كانت مهجورة **لم يقوموا** بالنقش عليها وكتابة أسمائهم، **"لم يدون عليها فتى اسم حبيبته أو تدون عليها حبيبة اسم فتاها"**[3].

تصبح **مدريد** مدينة هادئة في نظره وجميلة فكل يستطيع العثور على المكان الذي يريده بسهولة، فهي من المدن التي يستطيع الإنسان التأقلم فيها والشعور على تلك المكان في فترة وجيزة.

وفي تلك الليلة التي سافر فيها أرسل رسالة إلى عمان يفرض معرفة المكان الذي استقر فيه تلك الفترة الوجيزة من شعره، لأنه ليس من السهل أن تعثر على كاتب عملاق بسهولة، فهو كثير الحركة وينتقل من مكان إلى مكان **"كنت أبحث عنك في عمان وها أنا اعثر عليه في مدريد**

---

[1] – الرواية، ص 14.

[2] – الرواية، ص ص، 16، 17.

[3] – الرواية، ص 18.

قلت: ليس هنالك ما هو أسهل من العثور علي في عمان.

حين سألته مستغربا: لهذا؟

قال لي: لم أستطع الوصول إلى رقم هاتفك....[1]

كان وصف "**مدريد**" صباحا يدل على أريحية الكاتب، وكذلك استمتاعه بنسيم الصباح، الذي يبعث الشعور بالطمأنينة والهدوء وافتتانه بها، وبالشوارع المحيطة بالفندق الذي نزل فيه، وبقي مندهشا من جمال تلك المناظر التي أثرت عليه بجمالها، فلم يستطع تركها والابتعاد عنها، فقد أخذت له عقله بسحرها الجمالي.

"**.....الاستمتاع بهواء مختلف، هواء طيب.**

.....ملاحقا كل مشهد تلمحه العين من بعيد وتحلم بامتلاكه دائما.

.....مدريد غنية في الصباح...

.....المشاهد الجميلة التي لا تنتهي....[2]

يتبين لنا من هذا كله أن الكاتب معجب بالمدينة لأنه يجد فيها الراحة النفسية التامة التي يتمناها كل إنسان.

وكذلك مكانا مفتوحا، يوجد فيه مكان مغلق إجباري، وقد برع في نقل ما شاهد الراوي الذي وفق في تصوير تلك اللوحة الفنية، وإخراجها في أبهى حلة.

---

[1] – الرواية، ص 31.

[2] – الرواية، ص 31.

3/ برلين:

برلين: "هي العاصمة الفيدرالية لجمهورية ألمانيا الاتحادية وإحدى ولايات ألمانيا الست عشر، كما أنها أكبر مدن ألمانيا، قسمت إلى جزئين: جزء غربي يتبع ألمانيا الغربية وآخر شرقي يتبع ألمانيا الشرقية، وبقي الحال في برلين على هذا النحو إلى حين سقوط الجدار في عام **1989**م، وأصبحت برلين مجددا عاصمة **جمهورية ألمانية الإتحادية**".[1]

برلين مدينة غربية، وصفها الراوي بأبعاد جمالية واقتصادية ومادية وحضارية جمعها هذا المقطع: "**كان عليّ أن أعود ثانية إلى برلين هذه المدينة التي تسكن الذاكرة بقوة لا تسكنها أي مدينة أخرى.**"[2]

بهذا اتخذ برلين مكانا تسكن فيه الذاكرة ولذلك بدأ رحلته بوصف شوارع المدينة ومعالمها الثقافية والتاريخية: "**كنت محظوظا بذلك الفندق البسيط الجميل (سورات) وموقعه الاستراتيجي القريب من قلب المدينة، مما أتاح لي التنقل بجرأة أكبر. أما الحدث الأهم فهو تمكني من إدراك اتجاهات مدينة برلين: وأما الأهم فهو إدراكي لحركة التنقل في المترو، وهي المرة الأولى التي أستطيع فيها ذلك !!**"[3].

الكاتب يصف لنا الفندق وهو من الأماكن المغلقة فهو مكان مؤقت يمكث فيه وله موقع إستراتيجي في قلب المدينة.

---

[1] – الموسوعة الحرة ويكيديا: (http.// arm. Wiki pedua. Org)، 05/ 06/ 2021م، الساعة 21:00.

[2] – الرواية، ص 21.

[3] – الرواية، ص 24.

كما نجد انتقال البطل في شوارع برلين ووصوله إلى جدار برلين التقط صورة أمامه ولذلك قال: "**إنها واحدة من المرات النادرة أيضا التي أكتب فيها أثناء السفر، إنها المرة الثانية، كتبت في الشارع في المترو في المطعم في الحديقة**"[1].

بمعنى أنه يكتب في كل مكان يذهب إليه في الشارع أو المطعم أو الحديقة، ووصفه يعبر عن شدة إعجابه بالمدينة لأنه وجد فيها جل الأشياء التي تبعت الحياة والتمتع والخروج من قيود الوطن وسجونه.

كما قدم لنا السارد وصفا لبرلين وخص بذلك "**قاعة الصمت**" بدأت بعد انفتاح برلين مباشرة إذ أنشأت لسببين الأول حق جميع الناس لهذا المكان، والسبب الثاني طلب التسامح ما بين الناس والأخوة ما بين الأوطان.[2]

في هذا السياق يقول: "**حين وصلتُ إلى (قاعة الصمت) صحبة ميخائيل ماركس المدرس في جامعة برلين الحرة قرأ قصائدي بالألمانية في واحدة من أمسيات فرانكفورت، اكتشفت أنني لم أصمت وبعد دقائق من الصمت وجدت نفسي لم أنزل أثرثر بقوة، فخلفي هناك يواصل الإسرائيليون بناء جدار ممزقا الأرض والسماء وحياة البشر، قرى كثيرة ومدنا كثيرة.**"[3] الكاتب هنا يصف لنا المكان الذي وصل إليه (قاعة الصمت) واستذكاره للبيوت والقرى والمستشفيات التي أصبحت غير آمنة في وطنه فلسطين.

4/ اليونان:

[1] – الرواية، ص 25.

[2] – الرواية، ص 27.

[3] – الرواية، ص 27.

مكان مفتوح، قام الكاتب بالحديث عن أسفاره المبكرة وتنقله من مدينة إلى مدينة فكانت "**الطائرة**" عنده في ذلك الوقت بمثابة **الحلم** كان لا يراها إلا في الأفلام السينمائية، الدخول إلى قاعة السينما في "**اليونان**" من أجل مشاهدة الفلم الذي جرت أحداثه كلها في "مدينة أثينا" حيث مثلت "**أثينا المكان المفتوح**" الذي جرت فيه أحداث الفيلم، وذلك لأن أغلب أحداثه وقعت فيها "..... **شوارع أثينا أو بين الجزر اليونانية الساحرة**....."[1].

يتبين من خلال هذا المقطع أن لهذا المكان دلالة نفسية متمثلة في الشعور بالراحة والسكينة النفسية حيث جعلنا نعيش تلك اللحظات بكل حذافيرها.

5/ إيرلندا:

إيرلندا بلاد الجمال الأسطوري، ذات الإطلالات المذهلة، تستقطب السياح من كل أقطار الأرض، ليستمتعوا بطبيعتها الخلابة، فهي من الأماكن المفتوحة التي تجري عليها أحداث الرواية.

لقد أثر هذا المكان على نفسية البطل إذ يشعر بالسكينة والهدوء، وأشار إلى الغرفة التي كان يقيم فيها وهي الغرفة الموجودة في الفندق لا الغرفة الموجودة في البيت يقول: "**في ايرلندا، كانت الغرفة الأخيرة المتوافرة، وحين دخلتها، كانت واسعة لا غبار عليها، ولكنني حيت اتجهت لباب الحمام وفتحته، كان سقفه أقل ارتفاعا من قامتي بكثير بحيث لم يكن باستطاعتي أن أحلق ذقني واقفا.**"[2]

[1] – الرواية، ص 70.

[2] – الرواية، ص 153.

جاء وصف السارد وصفا سطحيا دون التعمق في كل زوايا الغرفة والتوقف في وصف الباب والسقف فقط إذ تشكل الغرفة جزءا هاما من الأماكن المغلقة التي توفر الأمن والاستقرار.

كما يذهب في مقطع آخر:" **وجود الحدائق الواسعة أمام المنازل، عراقة البيوت وقدمها هدوء الشوارع، كلها أمور كانت تغري بمزيد من التجوال، لكن الشيء المحزن أنني لم أجد ما أصوره قلت: تأتي مدججا بآلتي تصوير ولا تستطيع التقاط صورة واحدة؟ !**"[1]

يتبين لنا بأن هدوء شوارع مدينة إيرلندا وجمالها أحدث رغبة لدى الكاتب في التجوال في كل مناطقها الخلابة.

ثم يصل إلى جسر: "**فجأة وجدنا نفسينا طرق جسر، عبرناه، وفي منتصفه كان يمكن مشاهدة امتداد تلك (القناة الكبيرة) التي تنساب تحته بهدوء ولا تجرحه تلك النسمة الرقيقة التي تتأرجح بشفافية على سطح الماء.**"[2]

المقطع يبين الحالة النفسية للكاتب إذ نقل ما شاهده في هذا المكان وهو على متن الجسر.

تجول البطل في عدة مدن ورجع من جديد إلى المدن الصغيرة فهي بالنسبة له من أجمل المدن يقول: "**مشهد الجزر والمدّ كان واحدًا من أهم المشاهد التي يراها المرء في خليج كانسيل الضيق، وإلى ذلك**

[1] – الرواية، ص 212.

[2] – الرواية، ص 212.

بيوتها التي تشبه الألعاب فها هناك بيت أخضر بجانب بيت أبيض بجانب بيت أصفر برتقالي، أحمر أزرق..."[1].

ويقول في موضع آخر: "**صُبحًا كُنتُ أتجوّل على الشاطئ والتقط الصور غير مُصدّق حجم هذا الجمال الذي تمنحه المدينة للكاميرا !! إلى أن وصلتُ إلى بوابة ميناء للقوارب، نظرتُ إليه عبر السّلك الشّائك والبوابة المقفلة بإحكام، وتمنيت الدخول كما لو أنني في سجن وحريتي هناك خلف الأسلاك**"[2].

من خلال المقطعين السابقين نلمس براعة السارد، إذ تحدث عن الشاطئ فهو مكان مفتوح للراحة والاستجمام.

نستنتج من خلال كل ما سبق أن رحلة إيرلندا من أجمل وأعمق الرحلات التي قام الروائي بزيارتها.

6/ نيويورك:

بعد رحلة طويلة وصل الكاتب إلى مدينة **نيويورك** في **الرابع عشر بعد يومين في روما"**، كانت رحلته هذه داعمة للانتفاضة الفلسطينية الأولى، وقد كانت فرقة بلاده واحدة من أهم الفرق الموجودة، هناك، وشارك معهم في الانتفاضة بشعره الذي حولوه إلى أغنية، فأصبحت واحدة من أهم تجارية للشعر مع الأغنية،[3] ومن أشعاره التي قدموها نذكر:

---

[1] – الرواية، ص233.

[2] – الرواية،ص234.

[3] – الرواية، ص 263.

علّموا كيف نصنع

من ظلام الليل شعلة

علموا كيف نجني

من القلب فلة

علمونا كيف يغدو قلبنا للأرض أزهارا

وفوق الجرح قُبلة.[1]

تكمن جمالية توظيف هذا المكان المفتوح في الرواية من خلال تصوير معاناة الفلسطينيين، ونقل تجربتهم كيف استطاعوا أن يحولوا أحزانهم إلى فرح.

وأيضا أنه وراء كل ظلام هناك شمس تشرق من جديد لتنير الأرض وتبعث فيها الحياة من جديد.

نستنتج من خلال كل ما سبق ذكره بأن الكاتب قد انتقل بين الأماكن العربية والغربية، بحيث تضم كل واحدة منها أماكن مفتوحة وأخرى مغلقة؛ حيث تكمن جمالية هذه الأماكن من انتقاله من بلد إلى بلد آخر ووصفها وصفا جماليا يتراوح بين الألفة والانبهار، الإعجاب والانكسار، والتي كان لوصفها لمسة جمالية تتمثل في:

- حسن توظيف الكاتب للغة المعبرة عن المكان بأبعاده الجغرافية والنفسية.
- الصدق الفني في التعبير.
- دقة الوصف وحسن التصوير، والواقعية الفنية.

[1] – الرواية، ص ص 263، 264.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج المتعلقة بالمكان ودلالته في الرواية، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

1-تعدد مفاهيم المكان بحسب انتمائه اللغوي أو الأدبي والفلسفي، وكذا تنوع التفسيرات النقدية للمكان وأيضا تعدد وتنوع مصطلحاته، من المكان إلى الفضاء، فالحيّز...، والسبب يعود إلى وجهات نظر النقاد في فهمه وآليات توظيفه.

2- أهمية المكان لا يمكن أن تحضر في مكان دون آخر، لأنّ دور الأمكنة يتداخل فيما بينها، وهو ما يؤكد أنّ الرواية لا يمكنها أن تبقى على مكان منفرد لأنّ مجموع الأمكنة هو ما يعطيها تفاعلها وحركيتها.

3- أصبح مصطلح "الفضاء" أوسع وأشمل دلالة من مصطلح "المكان"، لأنّه يحوي الأمكنة الروائية والتي تربط وفق علاقة الكل بالجزء.

4- المكان في الرواية "السيرة الطائرة" وظف ببراعة، يمكن تصنيفه إلى صنفين: أماكن مغلقة وأماكن مفتوحة، أقحمها الكاتب في الرواية لتحمل دلالات عديدة وهذا ما زاد من جمالياتها داخل النص الروائي.

5- من الأماكن المغلقة في الرواية نجد "البيت، الغرفة، الفندق، الطائرة" أما بالنسبة للأماكن المفتوحة نجد: الشوارع، المدينة، الصحراء، وغيرها، التي كان حضورها في الرواية من خلال:

-تحدث عن بيت جده الذي زاره في فلسطين فهو يحمل دلالة للراحة والطمأنينة إذ يعتبر من الأماكن الاختيارية.

- إلى جانب ذلك نجد الصحراء تحمل دلالة ذات طبيعة سلبية موحشة ومكيفة من خلال الشعور بالضياع داخل منطقة ليس من السهل العيش فيها إن لم تكن من أهلها.

- تحدث عن شوارع مدينة "مدريد" العامرة في الصباح والخالية المهجورة في المساء، فالشارع هنا يحمل دلالة مكان مفتوح ليس له حدود.

6- سيطرة الروائي على مشاهد الرواية، حيث نصب نفسه بطلا لروايته وكاتبا لها، ومقدما لشخصياتها، حاملا وسام الشخصية المحورية التي تدور حولها الأحداث.

7- الجودة في رسم أبعادها الجسمية والنفسية والاجتماعية ممّا جعلها تحضى بقدر كبير من الواقعية.

8- عبر المكان الروائي عن كثير من الدلالات، اختلفت باختلاف توظيفه فتارة يدل على أمور سياسية وتارة أخرى على أمور ثقافية واجتماعية كما يدل على طبيعة المجتمع الذي ينتمي إليه الروائي ورؤاه الفكرية والنفسية.

9- كما وظف الروائي المكان ليعبّر عن المعاناة وغياب الحرية وقهر الذات، وغياب العدالة من خلال حديثه عن دولة فلسطين المحتلة.

10- تنوعت الأماكن بين أماكن محبوبة وأماكن منبوذة من جهة، وأماكن ذات إقامة جبرية وأخرى اختيارية من جهة أخرى.

11- اهتمام الروائي بالمكان في الرواية توظيفا وتنويعا وتسمية، خاضع لثقافته ومقدرته الفنية وتجربته لما قدمه روايته من مكان سير الأحداث فيها.

12- المكان في الرواية حمل أكثر من دلالة وأكثر من بعدا وبذلك تجاوز معناه التقليدي المقتصر على المكان الجغرافي ليتسع ويشمل أبعاد أخرى، أكثر رمزية كالبعد النفسي والبعد الوطني والسياسي والبعد الاجتماعي وغيرها.

13- مزج الروائي بين المكان ومختلف العناصر السردية كالوصف والزمان بحيث أثر وتأثر كل عنصر منها بالعناصر الأخرى.

14- شكل الوصف أداة مهمة في تصوير المكان والأحداث الفاعلة فيه وتحديد أبعاده وملامحه.

15- تتميز سيرة الكاتب بأسلوب اللغة الروائية، فقد استطاع أن يجعل اللغة السردية ذات بعد فنّي موحد متماسك، وذلك من خلال حسن توظيفه للغة المعبرة عن المكان بأبعاده الجغرافية والنفسية.

16- الروائي انتقل بنا في رواية "ألسيرة الطائرة" من بلد عربي إلى بلد غربي، فتنوعت رحلاته تارة هنا وتارة هناك، وقام بوصفها على متن الطائرة والمطار والفندق وصفا جماليا يتراوح بين الألفة والانبهار والقهر والدمار خاصة فيما رآه في وطنه الأم فلسطين جراء الاستدمار الصهيوني.

وأخيرا يمكن القول أنّ هذه النتائج المتوصل إليها لم تكن النهاية، بل هي تمهيد لدراسات أخرى، ونحن من خلال هذه الدراسة نكون قد فتحنا المجال لدراسات أخرى تجول هي الأخرى بفضاءاتها في العالم الروائي.

وإن كان ثمة نتائج طيبة ومفيدة في هذه الدراسة فإنّ ذلك بتوفيق من الله ورعايته، ومن ذا يؤتي الكمال، والله الموفق الصواب.

قائمة المصادر
والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص

أولا: المصادر

1. إبراهيم نصر الله: السيرة الطائرة (أقل من عدو أكثر من صديق)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط3، 1433هـ/2012م.

ثانيا: المراجع

2. إبراهيم السعافين: دراسة في الرواية العربية، دار الشروق، عمان، الأردن، دط، دس.

3. أحمد حفيظة: بنية الخطاب في الرواية الفلسطينية، منشورات أوغارين الثقافي، رم الله، فلسطين، ط1، 2008م.

4. أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 1426هـ/2005م.

5. أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001م.

6. أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة)، دار الأمل للطباعة والتوزيع، الجزائر، د ط، 2009م.

7. باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 1429هـ/2008م.

8. حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء –الزمان– الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

9. حسن نجمي: شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي، الدار البيضاء، د ب، ط1، 1422هـ/2001م.

10. حمزة قريرة: بنية الفضاء في الخطاب الروائي دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، دط، 2020م.

11. حميد لحميداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

12. حميد لحميداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دار البيضاء، دب، ط3، 2000م.

13. سمر روحي الفيصل: الرواية العربية البناء والرؤيا (مقاربات نقدية)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، د ط، 2003م.

14. سعيد يقطين: قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م.

15. سيزا قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، القاهرة، د ط، 1978م.

16. شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د ب، ط1، 1994م.

17. الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م.

18. شعبان عبد الحكيم محمد: الرواية العربية الجديدة دراسات في آليات السرد وقراءات نصية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، د ب، ط1، 2014م.

19. عبد الحميد بورايو: منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1994م.

20. عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1990م.

21. عمر عاشور (ابن الزيبان): البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمنية والمكانية في موسوم الهجرة إلى الشمال)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2010م.

22. غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1984م.

23. فاروق وادي: ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية (غسان كنفاني، إميل حبيبي، جبرا إبراهيم جبرا)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

24. فريدة إبراهيم بن موسى: زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية —دراسة نقدية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، دب، ط1، 1433هـ/2012م.

25. فهد حسين: المكان في الرواية الحرينية دراسة في ثلاثية روايات (الجدوة- حصار أغنية الماء والنار)، دار فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط1، 2003م.

26. محمد عزام: شعرية الخطاب السردي: اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2005م.

27. مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار-الدقل- المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، دط، 2011م.

28. لعموري عليش: إشكالية المكان والزمان في فلسفة ابن سينا (دراسة تحليلية نقدية)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2009م.

29. هيام شعبان: السرد الروائي في أعمال إبراهيم مصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، دط، 2003م.

30. ياسين النصير: الرواية والمكان (الموسوعة الصغيرة)، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، دط، 1407هـ/1986م.

31. ياسين النصير: دراسة في فن الرواية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، دط، 1980م.

32. ياسين النصير: الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط2، 1986م.

ثالثا: المعاجم

1. إبراهيم وآخرون: معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، دس.

2. بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، لبنان، دط، 1987.

3. جبران مسعود: الرائد، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، ذ1، 2003م.

4. الفراهيدي (الخليل بن أحمد): كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، باب (الكاف)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.

5. الفيروز آبادي (محمد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب)، قاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، دط، 2008م.

6. معجم الوجيز: معجم اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، دط، دت.

7. ابن منظور (محمد بن مكرم على الإفريقي): لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 2005م.

رابعا: المجلات والدوريات

1. نصيرة زوزو: إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، "مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية"، العدد 6، بسكرة، جانفي 2010م.

2. وليد أبو بكر: بعض التحولات الخاصة في الرواية الفلسطينية الجديدة "مجلة تبين"، مصر، العدد2، خريف 2015م.

خامسا: الرسائل الجامعية

1. إبراهيم قرمة: اتفاقية أوسلو أبعادها الاقليمية والدولية 1991م-1995م، ومان حورية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019م.

2. سعاد دحماني: دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2008م.

3. ضحى على فهد: علي أحمد باكتير وأدبه النثري (الرواية التاريخية أنموذجا)، دراسة فنية رسالة ماجستير، الجامعة العراقية، بغداد، 2011م.

4. عبد الرحمان منيف: دلالة المكان في الرواية مدن الملح، إشراف زكري بحوص، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016م.

5. قصي جاسم أحمد الحيوري: المكان في روايات تحسين كرماني، إشراف منتهى لله الحراشة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، 2015م/2016م.

6. مسك مصطفى مرار: الشخصية في الرواية الفلسطينية (روايات أنور حامد أنموذجا)، موسى خوري، جامعة بيرزيت، بيروت، لبنان، دت.

سادسا: المواقع الالكترونية

1. جهينة عمر الخطيب: تطور الرواية العربية في فلسطين 48 (2012م-1948م)، دب، دط، دت،ضمن الموقع الالكتروني:سا 30: 9,2021/04/07: (Ebook reader,club).

2. محمد بكر البوجي: "آفاق الرواية العربية في فلسطين بعد أسلو"، ضمن الموقع الإلكتروني: (https://pulpit,alwatanvoie.com,articles/2016/03/10/39818,htinl) :07/04/ 2021, 9,30.

3. اتفاقية أوسلو: سا 9:30، 2121/04/07 ضمن الموقع الإلكتروني: (ar,m,wikipedia,org)

4. عمان، الموسوعة الحرة، سا 13:30، 2021/05/31م، ضمن الموقع الإلكتروني: (http://ar,m,wikiprdia,org) .

5. مدريد: الموسوعة الحرة، سا 14:00، 2121/05/31م، ضمن الموقع الالكتروني: (http://ar,m,wikipedia,or

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة ..... أ

مدخل:الرواية الفلسطينية ..... و

أولا- البداية الأولى للرواية الفلسطينية..... 7

1- قبل النكبة (1948م). 7

2- بعد النكبة: 10

ثانيا- اتفاقية أوسلو وأثرها في الرواية الفلسطينية: 12

الفصل الأول: بحث في المفاهيم الأساسية..... **15**

المبحث الأول: ماهية المكان وأهميته في العمل الروائي..... 16

المطلب الأول: تعريف المكان. 16

1/ لغة:..... 16

2- اصطلاحا: 19

المطلب الثاني: أهمية المكان في بناء الرواية. 28

المبحث الثاني: أنواع المكان ووظيفته. 34

المطلب الأول: أنواع المكان..... 34

أولا: الأماكن المفتوحة. 34

ثانيا: الأماكن المغلقة. 37

المطلب الثاني: وظيفة المكان..... 40

المبحث الثالث: مفهوم الفضاء وعلاقته بالمكان..... 44

المطلب الأول: مفهوم الفضاء. 44

المطلب الثاني: العلاقة بين الفضاء والمكان. 47

الفصل الثاني: صورة المكان في رواية السيرة الطائرة 54

المبحث الأول: في تعريف الروائي والرواية..... 55

المطلب الأول: تعريف الروائي..... 55

المطلب :في تعريف الرواية.....57

المبحث الثاني:وصف أمكنة الرواية: 64

المطلب الأول: صورة الأماكن العربية: 64

المطلب الثاني: صورة الأماكن الغربية:..... 90

الخاتمة 91

قائمة المصادر والمراجع..... 91

فهرس المحتويات 91

ملخـــص

تناول هذا البحث موضوع المكان في سيرة الكاتب الفلسطيني " إبراهيم نصرالله " من خلال مقاربة لأحد أعماله الابداعية فكانت رواية السيرة " السيرة الطائرة" – أقل من عدو أكثر من صديق – موضوع الدراسة المخصصة للتمظهرات المكانية فيه، وآليات تشكيله فنيا، أو في مستوى توظيفه دلاليا.

المكان تقنية لا تخلو من أي عمل أدبي، وخصوصا الرواية، فهو بمثابة العمود الفقري في العمل الروائي ونظرا لأهميته الكبيرة لقى اهتمام الكثير من الأدباء باعتباره الإطار العام لتشكيل الأحداث وتحرك الشخصيات.

عنوان رواية " السيرة الطائرة "يوحي بأن " مسيرة الكاتب" يوحي بأن : مسيرة الكاتب الفنية والحياتية انبنت وهو على متن الطائرة، من خلال التجوال والترحال ومعرفة الآخر فكل مكان يختزن تجربة أصحابه، ولعل هذا العنوان المكثف بالدلالات يذكرنا بقول الشافعي " في حديثه عن أهمية السفر:

سافر تجد عوضا عمّن تفارقه فانصب فان لذيذ العيش في النصب

وظف السارد في روايته العديد من الامكنة العربية والغربية (أمكنة مغلقة، مفتوحة، أماكن انتقال جبرية، أماكن إقامة جبرية، اختبارية).

الكلمات المفتاحية : المكان، الفضاء صوت المكان، رواية " السيرة الطائرة" ، أماكن عربية، أماكن غربية، " إبراهيم نصر الله".